

2019

الأثر السياسي لنساء السلاطين في العصر المملوكي (923-648هـ / 1517-1250م)

الأستاذ الدكتور حسين داخل البهادلي
الجامعة العراقية - كلية الآداب

المدرس المساعد إيمان أحمد منذر
الجامعة العراقية - كلية الآداب

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad>

 Part of the [Arts and Humanities Commons](#), and the [Law Commons](#)

Recommended Citation

منذر، المدرس المساعد إيمان أحمد (2019) "الأثر السياسي لنساء and البهادلي، الأستاذ الدكتور حسين داخل
م (923-648هـ / 1517-1250م)،" *Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal*: Vol.
17: Iss. 1, Article 13.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad/vol17/iss1/13>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

ملخص البحث

تسلط الدراسة الضوء على ظاهرة سياسية فريدة لم يشهدها التاريخ السياسي للدولة العربية الإسلامية منذ نشأتها وفي عصورها المتعددة، وهو ولوج بعض نساء الأسر الحاكمة المعتزك السياسي، وتبوأها للمناصب العليا في الحكم والإدارة والعسكر. لقد مثل هذا التوجه انعطافه كبرى وتطوراً نوعياً في الفكر العربي الإسلامي، وتحدياً للموروث العربي وتقاليد وأعرافه، وكذلك الثقافة السائدة آنذاك والنظرية السياسية الإسلامية.

إنَّ عقد هذه الدراسة هو بيان دور نساء السلاطين والأمراء والمماليك وجواريتهم في الحياة السياسية للدولة المملوكية لأكثر من قرنين ونصف من الزمان وهي إضافة أخرى للدراسات التي خُصصت في هذا المجال.

Abstract

This paper highlights a unique political phenomenon that never known in the political history of the Islamic and Arabian state since early times and throughout its successive periods when women had ascended the throne and joined the political arena and high administrative, military offices in the state as well.

The phenomenon represented a big paradigm shift and a great development in the Islamic Arabic political thought and it also constituted a challenge to the Islamic Arabic legacy, its traditions and customs, also the mainstream culture at that time not to mention the Islamic political theory.

This paper tries to show the role of Sultan's, Princes' and Mamluk's women and when women had ascended the throne and joined the political activities for first time in the political life of Mamluk State for more than two centuries and a half. It is considered as another addition to the studies of the field concerned.

أيوب (638-647 هـ / 1240-1249م)، وبعد وفاته ، ومن ثم توليها للحكم بعد مقتل آخر سلطان أيوبي وهو الملك المعظم توران شاه (647-648 هـ / 1249-1250م)، ومن ثم تنازلها عن العرش للأمير المملوكي عز الدين أيك (648-655 هـ / 1250-1257م)، قد تخلله أحداثاً سياسية وعسكرية تعاملت مع بعضها بحزم ورباطة جأش يصعب على الرجال مواجهتها، وفي أحيان أخرى تعاملت مع بعضها بعاطفة المرأة ولاسيما بعد تنازلها عن العرش للأمير عز الدين أيك سنة 648 هـ / 1250م.

بدأت شجرة الدر حياتها السياسية جارية للملك الصالح نجم الدين أيوب ، ثم زوجة له⁽¹⁾، إذ اتيح لها هذا القرب من التمرس بشؤون الحكم والإدارة، ولم يمض على ذلك مدة حتى اكتسبت خبرة ودراية لم تكسبها امرأة قبلها أو بعدها⁽²⁾.

ومما يظهر في الإشارات الواردة في المؤلفات المتيسرة، أنّ شجرة الدر لم تفارق زوجها في حله وترحاله، فكانت تلازمه في جميع المهام السياسية والعسكرية، وقد أناط بها بعض مهامه كقضاء حوائج الناس، أو التوقيع على المراسيم السلطانية نيابة عنه⁽³⁾، وازداد دورها في الحياة السياسية بشكل ملفت في أثناء مرض زوجها الملك الصالح، إذ تشير تلك المصادر الى ان شجرة الدر قد اضطلعت بمهمتين كبيرتين، الأولى: رعاية زوجها المريض، والأخرى: تدبير شؤون الحكم، وقد أظهرت في هاتين المهمتين مقدرة سياسية وإدارية وعسكرية حفظت للدولة الأيوبية هيبتها ومكانتها في ظل أوضاع سياسية وعسكرية بالغة التعقيد، فقد اخفت خبر وفاة زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب⁽⁴⁾، مؤقتاً لإدراكها خطورة التصريح بوفاة؛ لأنّ البلاد كانت تعصف بها أزمات سياسية وعسكرية جراء التوغل الصليبي الذي وصل إلى (دمياط)⁽⁵⁾، فضلاً عن طموح بعض الأمراء في الاستئثار في الحكم مما قد يعرض الدولة لخطر الاقتتال الداخلي⁽⁶⁾، ومما يبدو فإن شجرة الدر كانت تترك، أنّ القيام بتلك المهمة وحدها غاية في الصعوبة، وكان عليها اللجوء إلى بعض المقربين من أتباع زوجها لمساعدتها في الحفاظ على الدولة ومكتسباتها، وقد تمكنت من كسب هؤلاء إلى جانبها بعد إخبارهم عن وفاة الملك الصالح، إذ طلبت منهم عدم إعلان خبر الوفاة إلا بعد ان تستقيم الأمور، ويتلاشى خطر الصليبيين عن البلاد، وقد أقسم هؤلاء لها يمين الطاعة والولاء ووافقوا على إجراءاتها في معالجة الأوضاع بالشكل الذي يحفظ للدولة الأيوبية وحدتها ومكانتها وهيبتها، الأمر الذي مكنها من تمشية أمور الدولة وإصدار الأوامر السلطانية الممهورة بتوقيع زوجها الملك الصالح، وفي الوقت نفسه أرسلت إلى ابن زوجها وولي عهده توران شاه، وكان مقيماً في حصن كيفا⁽⁷⁾، للمجيء إلى مصر لتسلم الحكم⁽⁸⁾، ولما وصل الأخير إلى مصر تسلم حكم الدولة الأيوبية، وأعلن خبر وفاة أبيه الملك الصالح⁽⁹⁾.

والواقع، فقد تولى توران شاه الحكم في ظروف عصيبة، وكانت أولى مهامه قيادة الجيش وطرد الصليبيين من المدن المصرية، وقد تيسرت له الظروف بفضل مساندة شجرة الدر والأمراء المماليك وعامة الشعب المصري، فأزيل الخطر الصليبي نهائياً بعد الانتصار المذهل عليهم سنة 648 هـ / 1250م⁽¹⁰⁾، وقد أفلحت الجهود جميعاً في إفشال أخطر حملة صليبية على مصر وهي الحملة الصليبية السابعة⁽¹¹⁾، التي كان لشجرة الدر دور مهم فيما تحقق فيها، فقادت المفاوضات التي جرت بعد المعركة بكل ثبات وحزم، إذ

أصرت على عدم تسليم الملك الصليبي لويس التاسع الذي وقع أسيراً بيد القوات المصرية في أثناء المعركة، إلا بعد تنفيذ كل بنود الاتفاقية التي أنهت الحملة الصليبية السابعة على مصر⁽¹²⁾.

ومما يظهر من المصادر المتيسرة، فإن توران شاه تولى حكم الدولة الأيوبية ولم تكن لديه حنكة سياسية، إذ سرعان ما انقلب على الممالك، وأهمل كبار رجال الدولة من الأمراء وأهل العقد والحل، والآنكى من كل ذلك تنكر لزوجة أبيه التي لولاها لما تقلد الحكم، وطالبها بأموال والده⁽¹³⁾، ممّا أعطى هؤلاء جميعاً الفرصة للتخطيط لقتله قبل أن يبدأ بالتنكيل بهم أو قتلهم⁽¹⁴⁾.

تولت شجرة الدر الحكم بعد مقتل توران شاه سنة 648هـ/1250م وبذلك تبوأ أعلى منصب في الدولة وهو السلطنة، وهذا في الواقع تطور كبير في التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ مصر على وجه الخصوص، إذ كان هذا المنصب حكراً للرجال، ولم يكن بمقدور أية امرأة مجرد التفكير في الوصول إليه، ومع ذلك فقد ظل هاجس شجرة الدر قلقاً من العودة مرة أخرى إلى ما يصطلح عليه أحد الباحثين المحدثين ظل الحريم البارد؛ لأنها تدرك أن ثباتها يعني عدم الرجوع إلى الظل الذي يفرضه المجال الانثوي⁽¹⁵⁾.

ومما يظهر من بعض الروايات التاريخية ، أن سلطنة شجرة الدر لم تكن على مصر وحدها بل امتدت إلى بلاد الشام، إذ ورد في تضاعيف تلك الروايات، انه لما قتل توران شاه خطب لها على منابر الشام ومصر بأمر الخليل شجرة الدر معشوقة الملك الصالح⁽¹⁶⁾.

ومما يبدو، أنَّ شجرة الدّر حاولت منذ بداية عهدها كسب المماليك البحرية إلى جانبها من خلال تقديم الأموال والجنود لهم، فعملوا في خدمتها، وخطب لها على المنابر، وسكّنت النقود بأسمائها "المستعصمية الصالحية، ملكة المسلمين، والدة الملك المنصور خليل أبر المؤمنين، وكانت تتمسك بلقب أم خليل صاحبة الملك الصالح⁽¹⁷⁾، لأبقاء صلتها بالأيوبيين، ولكي لا يظن المصريون ان انقلاباً قد حدث في بلادهم بقيادة المماليك، فضلاً عن ان تسلم السلطة على حساب حكامهم الأيوبيين أمر غير مرغوب به في تلك الظروف.

وهناك أمر مهم آخر لابدّ من التنويه اليه، وهو أن المؤرخين المصريين قد اختلفوا فيما اذا كان تسنم شجرة الدر بحكم مصر وبعض أجزاء بلاد الشام يعدّ استمراراً للحكم الأيوبي أو بداية لحكم المماليك، فالمقريزي يرى انها "أول من ملك مصر من ملوك الترك والترجمان"⁽¹⁸⁾، في حين يرى ابن اياس انها استمرار للحكم الأيوبي، إذ أورد في أثناء حديثه عن عز الدين ايبك عنواناً نصه "ذكر ابتداء دولة الأتراك في مصر"⁽¹⁹⁾.

ومهما يكن من الأمر، فإن شجرة الدر على الرغم من قصر المدة التي تولت فيها حكم مصر، فقد نهجت سياسة التقرب من الخاصة والعامة، بيد أن الرأي العام في مصر لم يكن مهيباً لتبوء امرأة للحكم وتدبير شؤون البلاد، لتناقضه مع طبيعة المجتمعات العربية والإسلامية من جهة، فضلاً عن أن النظرية السياسية الإسلامية آنذاك لاتحذ بأي حال من الأحوال تولي امرأة الحكم من جهة أخرى⁽²⁰⁾.

ومما يدلُّ على ذلك، أن العامة في مصر قد عبرت عن رفضها تولي شجرة الدّر الحكم من خلال القيام بالتظاهرات والاضطرابات التي تحولت فيما بعد إلى أحداث

شغب⁽²¹⁾، ممّا جعل الأخيرة تغلق أبواب مدينة القاهرة خشية امتداد أحداث الشغب إلى المدن المصرية الأخرى، بيد أن هذا الإجراء لم يسهم في احتواء الموقف المتأزم. والواقع، فإن المعارضة لتولي شجرة الدرّ حكم مصر لم تقتصر على العامة في مصر، وإنما من الخليفة العباسي المستعصم بالله (640-656 هـ / 1242-1258م) باعتباره الخليفة الوحيد الذي يستمد منه السلاطين والأمراء شرعيتهم في بلدانهم نيابة عنه، فقد اعترض هذا الخليفة على تولي شجرة الدرّ حكم مصر، وقد أرسل كتاباً إلى ممالك مصر يقول فيه ما نصه: "إن كانت قد عدت عندكم الرجال، فأعلمونا حتى نسيّر اليكم رجلاً"⁽²²⁾.

ومما يظهر، فإن شجرة الدرّ كانت في موقف لا تحسد عليه، فالاضطرابات توسعت لتشمل أغلب مناطق القاهرة والمدن المصرية الأخرى، ممّا أضطرها لتوجيه الدعوة للأمراء والمماليك والقضاة، وعرض الأمر عليهم لمساعدتها، وإبداء المشورة لاحتواء الموقف، وقد لبى هؤلاء دعوتها، وفي هذا اللقاء أشار عليها هؤلاء بالتنازل عن العرش للأمير عز الدين أيبك مقابل زواجها منه لتبقى قريبة من الحكم، ولم يكن أمامها سوى الموافقة على هذا الرأي، وقد تولى الشيخ عز الدين بن عبد السلام⁽²³⁾ عقد زواجها على المعز أيبك، وبهذه الطريقة تنازلت شجرة الدرّ عن الحكم بعد مدة قدرتها المصادر بين ثمانين يوماً⁽²⁴⁾ أو ثلاثة أشهر⁽²⁵⁾.

وفي هذا الصدد تشير الدكتورة بحرية أوج في كتابها النساء الحاكمات في التاريخ، أنه على الرغم من أن أحد المستشرقين الفرنسيين، ادعى أن عدداً كبيراً من المؤرخين قد زعموا أن شجرة الدرّ كانت لها علاقة ودية وثيقة بأيبك في عهد زوجها الملك الصالح، إلا أنه لا يوجد دليل على صحة ذلك القول⁽²⁶⁾؛ إذ لا نجد من يؤيد هذه الصلة أو العلاقة سوى جرجي زيدان في كتابه تاريخ مصر الحديث، إذ ذكر أنها تولت زمام الأمور بعد أن تواطأت مع أيبك، وكان من أقوى الأمراء نفوذاً آنذاك، وكانت بينهما علاقة ودية منذ أيام الملك الصالح⁽²⁷⁾.

وتشير الدكتورة بحرية أيضاً إلى أنه لا يمكن التسليم بصحة هذه الادعاءات، إذ لو كانت كذلك لما سمح الأمراء الأوفياء، للملك الصالح أن تعتلي شجرة الدرّ العرش بعد خيانة زوجها، لا سيما أن العالم الإسلامي يعد ذلك من أكبر الذنوب، فضلاً عن أنهم لم يسمحوا لشريكها أيبك أن يصبح قائداً في الجيش، وإلى جانب ذلك كله أن مثل هذه الادعاءات في الدول الشرقية لم تكن تؤدي إلى إبعاد النساء من السلطة فحسب بل من الممكن أن تؤدي إلى قتلهن⁽²⁸⁾.

ومهما يكن من أمر، فإن زواج شجرة الدرّ بأيبك كان حلاً صائباً فرضته معطيات سياسية في ظروف بالغة التعقيد، وقد أشار الدوداري إلى ذلك بقوله "وسبب ملكه أن الأمراء لما نظروا لما جرى من التشويش، وما الناس فيه من النهب وقلة الحرمة وتحريك الملك الناصر صاحب الشام عليهم من جهة، وتحريك المغيث صاحب الكرك من جهة أخرى، وإن المرأة لا تقوم بسياسة المملكة وإن الطمع قد وقع منهم لذلك، فأجمعوا رأيهم، وأقاموا من بينهم الأمير عز الدين أيبك التركماني"⁽²⁹⁾.

ويرى الباحثان، إن قبول شجرة الدر بالزواج من أيك، مقابل التنازل له عن العرش، يؤكد صواب رؤيتها السياسية؛ لأنها ستظل قريبة من الحكم أولاً؛ ولأن تجربتها السابقة مع زوجها الملك الصالح ربما أعطتها خبرة ودراية في التصرف في هكذا ظروف ثانياً، فضلاً عن أنَّ عز الدين أيك ربما يتيح لها إرضاء الأيوبيين في بلاد الشام، ومما يؤكد ذلك تنازل الأمير عز الدين أيك لصبي من الأيوبيين في بلاد الشام، ولو كان شكلياً⁽³⁰⁾.

وعلى أية حال، فإن العلاقة بين شجرة الدر وعز الدين أيك لم تستمر سوى مدة قليلة بسبب عاطفة الغيرة التي تولدت لديها من استمراره مع زوجته الأولى وأم ولده المنصور علي وإقدامه على خطبة ابنة صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ إلى جانب أمور أخرى تتعلق بسياسة أيك مع الرعية⁽³¹⁾.

ومما يبدو، فإن شجرة الدّر قد وصلت إلى حالة نفسية لم تستطع من خلالها الخروج من عاطفة الغيرة التي تملكته، فبدأت في استدراج المعز أيبك للعودة إلى مصر بعد أن هجرها مدة من الزمن بسبب تلك الغيرة⁽³²⁾، وعندما وصل إلى القاهرة دبرت له مؤامرة بالاشتراك مع بعض غلمانها، إذ انقض هؤلاء عليه وهو في الحمام وقتلوه غيلة⁽³³⁾، بيد أن سرعان ما وجهت إليها الاتهامات بضلوعها في قتله من زوجة المعز أيبك الأولى وأم ولده المنصور، ولم تمض مدة قليلة حتى قتلت بطريقة مؤلمة⁽³⁴⁾.

وإذا كانت نهاية تلك المرأة بهذه الفاجعة المؤلمة، فإن ذلك لم يقلل من صيتها الذي جعل منها النموذج النسائي الأكثر تأثيراً في الأحداث السياسية آنذاك سواءً في دورها المثير للجدل في أخريات الدولة الأيوبية أو في تأسيس دولة المماليك البحرية، فنالت كما يقول ابن تغري بردي "من الدنيا ما لم تتله امرأة قبلها، ولا بعدها"⁽³⁵⁾.

لم يخلو العصر المملوكي سواء في حياة شجرة الدر أو بعد وفاتها من نماذج نسائية أخرى من أمهات أو زوجات الأمراء المماليك، إذ ترد اشارات مهمة في المصادر المتيسرة عن تأثير بعضهن في الحياة السياسية لدولة المماليك، ومن هذه النسوة زوجة عز الدين إيبك الأولى وأم ولده المنصور، إذ تمكنت هذه السيدة من ان تتحكم في أمور الدولة المملوكية من خلال الوصاية على ابنها السلطان المنصور الذي لم يستطع تدبير أمور البلاد بسبب صغره من جهة، ولأنصرافه باللهو واللعب من جهة أخرى، وفي ذلك يقول المقرئ "وكانت قد كثرت مفاصد الملك المنصور علي بن المعز إيبك، واستهتت في اللعب، وتحكمت أمه، فاضطربت الأمور"⁽³⁶⁾، وفي هذا المجال أيضاً يقول ابن دقماق "وكانت والدته تدبر الملك تدبير النساء"⁽³⁷⁾.

ومن النماذج النسائية الأخرى التي أدت دوراً مؤثراً في رَأب الصدع وإصلاح ذات البين في الدولة المملوكية، القبطية بنت الملك المفضل قطب الدين بن العادل بن أيوب، وكانت إحدى قريبات الملك المغيث⁽³⁸⁾ صاحب الكرك، إذ طلب منها الأخير التوسط لدى ابن عمه الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد صاحب دمشق لإنهاء الحرب بينهما، وبذلك انتهت الحرب بعقد الصلح بين الطرفين سنة 657هـ/ 1258م⁽³⁹⁾.

ولم يقتصر دور والدة المغيث عمر صاحب الكرك على ذلك، فقد تدخلت لدى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري (658-676هـ/1259-1277م) من أجل منح الأمان إلى ابنتها المغيث، إذ تشير المصادر إلى أن والدة المغيث التقت بالسلطان الظاهر بيبرس

في غزة سنة 661هـ/1263م في أثناء مسيره إلى بلاد الشام وطلبت منه الامان لابنها، وقد أحسن بيبرس وفادتها واجابها إلى ما طلبته⁽⁴⁰⁾.

ويبدو، أن دور نساء المماليك في الحياة السياسية لم يقتصر في التوسط لحل النزاعات التي تنشأ بين الأمراء المماليك أو في احيان أخرى لطلب الأمان بل تعدى الى مساعدة بعض الأمراء على التخلص منهم على الحكم، فقد ذكرت المصادر ان خوند⁽⁴¹⁾ بركة بنت بركة خان حسام الدين الأمير الخوارزمي زوجة الظاهر بيبرس أدت دور مهماً في تثبيت السلطة لابنها السعيد بركة⁽⁴²⁾ (676-678هـ/1277-1279م)، من خلال مساعدته في التخلص من منافسه بدرالدين بيلبكال خازندار⁽⁴³⁾.

ومما يظهر من المصادر المتيسرة، ان السيدة بركة خان كان لها تأثير سياسي كبير في أثناء حكم ولدها الملك السعيد، فضلاً عن الاحترام الذي كان يكنه لها الأمراء المماليك على الرغم من سوء تصرفات ولدها الملك السعيد معهم⁽⁴⁴⁾.

وقد حاولت تلك السيدة في مناسبات عدة تقويم سلوك ولدها الملك السعيد من خلال تعنيفه وبيان جهله بأمور الدولة⁽⁴⁵⁾، ومما يبدو فإن نصائحها لولدها الملك السعيد لم تجد أذاناً صاغية في بعض الأحيان بسبب البطانة الفاسدة التي كانت حوله، ومثال على ذلك سفرها معه إلى بلاد الشام سنة 676هـ/1277م من أجل عقد صلح مع الأمراء المماليك الذين كانوا يأخذون على ولدها الملك السعيد عدم اكترائه بمكانتهم ومنزلتهم في الدولة، فضلاً عن اعتقال العديد من اتباعهم، وقد حاولت تلك السيدة بما اتصفت به من ذكاء وفطنة تبديد مخاوفهم من خلال إيصال رسالة لهم بأن ما وصل اليهم من ولدها الملك السعيد لم يكن دقيقاً، وان الأخير يكن لهم الاحترام؛ لأنها كانت تعي جيداً قوة الأمراء المماليك وقدرتهم على قلب الأمور، وقد قبلت شروطهم، ولما رجعت إلى مصر تنكر ولدها لشروط الصلح مع المماليك بتأثير بطانته مما جعله يخسر ملكه في نهاية الأمر⁽⁴⁶⁾.

وعلى اية حال، فقد قرر الأمراء المماليك خلع الملك السعيد وابعاده إلى قلعة الكرك لإدارة شؤونها، وتولية أخيه الملك بدرالدين سلامش⁽⁴⁷⁾ سنة 678هـ/1279م الحكم بدلاً عنه⁽⁴⁸⁾.

ومن الشواهد التاريخية الأخرى على تأثير نساء المماليك في الحياة السياسية، الاحداث التي تلت مقتل السلطان الأشرف خليل في تروجة⁽⁴⁹⁾، إذ قام كتبغا نائب السلطنة بالقبض على الوزير شمس الدين السلغوس⁽⁵⁰⁾، فأرسلت خوند اردوتكين زوجة السلطان خليل إلى كتبغا⁽⁵¹⁾ نائب الشام، تشفع فيه؛ لانه كان من أصحاب السلطان، وكان إلى جانب ذلك يحظى بمنزلة عظيمة⁽⁵²⁾، فلبى نائب السلطنة طلبها⁽⁵³⁾.

وقد أشارت المصادر التاريخية أيضاً إلى الدور السياسي الذي ادته خوند اشلون⁽⁵⁴⁾ أم السلطان الناصر محمد بن قلاوون⁽⁵⁵⁾ في مدة حكمه الأولى (689-693هـ/1290-1293م)، وكان عمره آنذاك تسع سنوات سنة 693هـ/1293م، ولم يكن له في الملك شيء بسبب تكالب الأمراء المماليك على السلطة⁽⁵⁶⁾، إذ نشب صراع بينهم، ولاسيما بين الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة واتبك العسكر من جهة وبين الأمير علم الدين سنجر الشجاعي من جهة أخرى⁽⁵⁷⁾، حيث رغب كلاهما في الاستيلاء على عرش السلطنة، فسارع كتبغا بحصار الشجاعي بالقلعة، مما اثار خشية خوند اشلون من

ان يؤدي ذلك إلى عزل ابنها وقتله؛ لأنها كانت على علم بما يدبره الأمير كتبغا لعزل ابنها الناصر (58).

وقد ذكرت المصادر التاريخية، ان خوند اشلون صعدت إلى سور القلعة بعد ان طال الحصار عند باب السلسلة⁽⁵⁹⁾، بغية الحديث مع الأمير كتيغا والمماليك المحاصرين للقلعة ومعرفة مطالبهم، وقالت لهم "ايش هو غرضكم حتى اننا نعمله لكم؟ فقالوا: ما لنا غرض إلا مسك الشجاعى واخمد الفتنة، ونحن لو بقيت بنت عمياء من بنات استاذنا الملك المنصور قلاوون كنا مماليكها لا سيما وولده الناصر محمد حاضر وفيه كفاية"⁽⁶⁰⁾، ثم رجعت خوند اشلون إلى مكانها، لانها تعلم برغبة الأمير كتيغا في خلع الناصر محمد من منصب السلطنة، ثم أرسلت إليه تعلمه برغبتها في السفر هي وابنها إلى الكرك، بعد ان بكى كتيغا وقال: ان السلطان استاذى وابن استاذى وما عندى أعز منه احد⁽⁶¹⁾.

وحينما رأت ان الفتنة ستنتهي بقتل الشجاعى رجعت وانفتحت مع الأمير لاجين واغلاقوا باب القلعة، وبقي الأمير الشجاعى محاصراً حتى سنة 693هـ/1264م، عندئذ تحول عنه اتباعه من المماليك، مما اضطره إلى طلب الامان، بيد ان الأمراء اتباع الأمير كتبغا لم يرضوا منحه الامان وقتلوه⁽⁶²⁾، ولما اراد الأمير كتبغا عزل الناصر محمد حرصاً على ارضاء خوند أشلون وعرفها ان سبب عزل ابنها إنما لصغر سنه، وان العدو قاصد بلاد الشام⁽⁶³⁾، خرجت بابنها الناصر محمد إلى بلاد الكرك سنة 696هـ/1296م⁽⁶⁴⁾، وأرسل اليها كتبغا يطيب خاطرها، مع هدايا ثمينة وجميع ما تحتاج اليه ويحتاج له ولدها⁽⁶⁵⁾، وبعد قتل السلطان المملوكى حسام الدين لاجين⁽⁶⁶⁾ سنة (698هـ/1299م) اتفق أمراء المماليك على إعادة الناصر محمد قلاوون للسلطنة مرة ثانية، الذي كان وقتئذ متجهاً إلى الكرك ليجمع قواه، وكتبوا إلى خوند اشلون كتاباً لإعلامها بما حدث، ولكنها ظنت انها حيلة من حسام الدين لاجين لقتل ابنها، فأبّت وامتنعت، بيد ان نائب امير الكرك تدخل لتوضيح حقيقة الأمر لها، وهكذا رجع الناصر محمد قلاوون إلى السلطنة مرة ثانية⁽⁶⁷⁾، ومما يظهر تأثير خوند أردوكين أيضاً في اثناء حكم زوجها الناصر قلاوون كبيراً، ففي سنة 710هـ/1310م استجار بها عبد الله بن ابيك والد المؤرخ الداوداري من اجل اعفائه من وظيفته بمصر خوفاً من ترصب الأمراء الكبار به، فطلبت من زوجها أعفائه وتعيينه في وظيفة اخرى في بلاد الشام⁽⁶⁸⁾.

وأوردت المصادر التاريخية أيضاً نفوذ امرأة أخرى من المماليك وهي خوند طغاي⁽⁶⁹⁾ زوجة الناصر محمد بن قلاوون وأم ولده انوك⁽⁷⁰⁾، إذ ذكرت المصادر أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون شغف بزوجته طغاي حتى أنه هجر زوجته الأولى خوند اردوتكين، وأصبحت طغاي هي خوند الكبرى، مع وجود زوجته ابنة الأمير تنكز⁽⁷¹⁾ نائب الشام، وكان الأمير تنكز إذا جهز تقادم إلى السلطان الناصر يخص خوند طغاي بجزء كبير من الهدايا⁽⁷²⁾. واستأثرت خوند طغاي بنفوذ قوي في الدولة، وليس أول من عظم نفوذها أن الأمراء كانوا يترجلون لها عند النزول، ويمشون بين يديها، ويقبلون الأرض لها، كما كانوا يفعلون مع السلطان⁽⁷³⁾.

ومما زاد في مكانتها لدى الناصر محمد، إنجابها لولده انوك، الذي حظي هو الآخر بمنزلة متميزة لدى والده، من دون سائر اخوته على الرغم من انهم اسن منه،

فأعطاه أعلى رتبة عسكرية في الجيش المملوكي، وهي رتبة أمير مائة مقدم الف⁽⁷⁴⁾، في حين أعطى بقية اخوته رتبة أقل، وهي رتبة أمير طبلخاناه⁽⁷⁵⁾، ومنحه رنك⁽⁷⁶⁾ جده المنصور قلاوون، وزوجه ابنة الأمير بكتمر الساقى⁽⁷⁷⁾ وهو في العاشرة من عمره أو دونها، واحتفل بزواجه احتفالات كثيرة⁽⁷⁸⁾ وقد ذكر ابن ايبك الصفدي أنه "لم يكن عند أبيه اعز منه لانه ابن الخونده"⁽⁷⁹⁾.

وقد اضافى الناصر محمد على خوند طغاي أم انوك الكثير من الألقاب، كانت تكتب اليها وهي في الحجاز ومنها، الجهة الشريفة العالية المعظمة، المحجة المصونة، الكبرى، خوند خاتون، جلال النساء في العالمين، قرينة الملوك والسلاطين⁽⁸⁰⁾، ومما يبدو، أن خوند طغاي قد حظيت لدى السلطان الناصر إلى الحد الذي دفع السلطان إلى الغاء مكس القمح في مكة الشريفة في السنة التي حجت فيها⁽⁸¹⁾.

ومن الشواهد الأخرى التي تدلل على مكانة خوند طغاي لجوء اصحاب المظالم اليها للشفاعة لدى السلطان، ففي سنة 722هـ/1322م شفعت في الأمير فضل الله بن عيسى امير عربان الشام الذي خرج عن طاعة الناصر فعفى الناصر عنه، واعاده إلى امرة العرب⁽⁸²⁾، وفي سنة 737هـ/1336م اشتط النشو⁽⁸³⁾ في ظلم التجار برمي البضاعة التي تحدث فيها المظالم حيث تقوم الدولة المتمثلة بناظر الخاص⁽⁸⁴⁾ بشراء البضائع من الناس بأبخس الاثمان ثم تعرض على التجار شرائها اضعاف ثمنها⁽⁸⁵⁾، إذ ضاعف النشو سعرها والزم التاجر بدفع ألفي دينار لشراء الخشب، في حين ان قيمة الخشب تساوي ألفي درهم، فلجأ التاجر إلى خوند طغاي، واخبرها بما وقع عليه من الظلم، فأخبرت السلطان بذلك، فأمر الأخير بتقصي القضية واستدعى النشو ووبخه⁽⁸⁶⁾، وعندما شغف ولدها انوك بامرأة من المغنيات تدعى "الزهرة" عن زوجته ابنة الأمير بكتمر الساقى، وافرد لها منزلاً ببركة الجيش⁽⁸⁷⁾، بلغ ذلك السلطان الناصر فمنعها عنه فمرض⁽⁸⁸⁾، وعلمت امه طغاي وشفعت له ومكنته من هواه، ولما علم السلطان بذلك استدعى انوك، وهم بقتله فمنعته امه وجواريتها⁽⁸⁹⁾.

ويظهر من المصادر التاريخية، أن نفوذ خوند طغاي قد استعمر أيضاً بعد وفاة الناصر محمد، فقد ذكر ابن حجر انها كانت معظمة في ايامه وبعده إلى ان توفيت في شوال سنة 749هـ/1348م⁽⁹⁰⁾.

وعندما اراد السلطان الكامل شعبان⁽⁹¹⁾ (746-747هـ/1345-1346م) مصادرة اموال الطواشي⁽⁹²⁾ عرفات واخراجه إلى الشام واخذه لأموال الطواشي الآخر كافور الهندي⁽⁹³⁾، طلبت خوند طغاي الشفاعة منه عند السلطان الذي خفف ذلك بنفيه إلى القدس⁽⁹⁴⁾.

ويظهر دور نساء المماليك أيضاً في الحفاظ على العرش بعد وفاة ازواجهن من السلاطين، إذ عملت على تثبيت دعائم الحكم لأبنائهن، فعندما توفي صاحب حماة الملك المؤيد إسماعيل الأيوبي⁽⁹⁵⁾ سنة 732هـ/1331م اخفت زوجته أم الأفضل خبر وفاته، وكان أبنها الأفضل وقتئذ يبلغ عشرين عاماً، وسارت إلى نائب الشام تنكز بهدية، وطلبت منه ان يولي ابنها الأفضل ملك حماة، فقبل الأمير تنكز هديتها، وكتب إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون بوفاة الملك المؤيد، وتعيين ولده الأفضل مكانه، فأستجاب السلطان لذلك

الطلب⁽⁹⁶⁾، ولم تلبث ان توسطت مرة أخرى لابنها عندما استدعاه السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى مصر، لما وصل إليه من أخبار عن تعسفه في المصادرات سواءً للتجار أو القضاة، فسافرت والدته بنفسها إلى نائب الشام، فاستجاب لطلبها، وكتب لابنها كتاب شفاعاة للسلطان وضمنه بأنه لن يعود إلى مثلها⁽⁹⁷⁾.

وكان لنساء البادية أيضاً دور في دخول مهنا بن عيسى⁽⁹⁸⁾ (ت 735هـ/1335م) إلى مصر تحت الطاعة السلطان الناصر قلاوون الذي كان يحثه على الدخول في طاعته، وهو يأبى ذلك، وقد رغب الأخير أولاده وحجابه وسائر من يتصل به في الأموال والضياع وغيرها، كي يأمرونه بالحضور إلى مصر، فلم يوافق على ذلك حتى ان نسائه تدخلن في الأمر وأوضحن له، أن السلطان لا قصد له سوى ان يكون كالأخرين تحت طاعته خاضعاً له⁽⁹⁹⁾.

وأشارت المصادر التاريخية أيضاً إلى النفوذ الذي تمتعت به ام السلطان الكامل شعبان في الدولة، فعندما اراد السلطان الخروج للحج في سنة 747هـ/1346م، اعترض بعض امراء المماليك بسبب الظروف التي كانت تمر بها دولة المماليك من جراء خطر فيضان نهر النيل وتدهور الأوضاع في بلاد الشام، بيد ان تلك المعارضة اصطدمت برفض قاطع من نساء السلطان ووالدته، إذ أصرن على خروجه للحج، ولم يكن امام الأمراء المماليك سوى الاستجابة لرغبتهم وتجهيز متطلبات السفر إلى الحجاز⁽¹⁰⁰⁾.

والواقع، فقد كان شغف السلطان بنسائه وحظاياه وانقطاعه إليهن، وتبذيره الأموال الطائلة لإرضائهن، قد شجعهن على التطلع إلى أموال الآخرين، لمكانتهن عند السلطان وتأثيرهن عليه، مما أغضب الأمراء على السلطان لتمكينه النساء من التصرف في أمور الدولة، وكثرة طمعهن بما في أيدي الناس من أملاك، حيث قمن بمصادرة الدوايب والأحجار والبساتين والدور ونحوها⁽¹⁰¹⁾، فأخذت أمه معصرة وزير بغداد، نجم الدين بن علي بن شروين (ت 747هـ/1346م) الذي تولى الوزارة المهدية أكثر من مرة⁽¹⁰²⁾ وأخذت اتفاق أربعة أحجار، وأخذت أمه أيضاً منظرة على بركة الفيل⁽¹⁰³⁾، وأخذت عند مصادرة خوان سلال⁽¹⁰⁴⁾ الطباخ داره التي على البحر وكانت من الدور العظيمة⁽¹⁰⁵⁾.

كما أخذت من أولاد الأمير طقزدمر خمسمائة فدان بناحية بوتيج⁽¹⁰⁶⁾ ودولاب بها⁽¹⁰⁷⁾، فقام الأمراء بعزل الكامل شعبان من منصب السلطنة ثم قتلوه، وبعد تولي المظفر حاجي⁽¹⁰⁸⁾ السلطنة في سنة 747هـ/1346م امر بأم السلطان الكامل شعبان وزوجاته بالنزول إلى القلعة في القاهرة، وقرر إعادة الأملاك التي اخذها حريم الكامل لأصحابها⁽¹⁰⁹⁾.

وأما في عهد السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد⁽¹¹⁰⁾ (743-746هـ/1335-1342م)، فقد تدخلت الجوارى كثيراً في أمور السلطنة، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل عارضت علناً ما يصدر من السلطان في مصر أو نائبه في بلاد الشام من مراسيم سلطانية، ومثال ذلك اعتراض بعض الجوارى في بلاد الشام على ما يصدر من نائب السلطنة الأمير حاج آل ملك⁽¹¹¹⁾، وإبطاله اذا لزم الأمر⁽¹¹²⁾، والآنكى من ذلك كله، ان الاقطاعات والرزق في عهد هذا النائب لا تعطى إلا للنساء أو الخدم⁽¹¹³⁾.

واشارت المصادر التاريخية أيضاً، إلى النفوذ الذي تمتعت به خوند بركة أم السلطان الأشرف شعبان⁽¹¹⁴⁾ (764-778هـ/1363-1376م)، إذ وصفها ابن تغري بردي بأنها "اعظم نساء عصرها خيراً، ودينياً وبراً، وجمالاً وكرماً"⁽¹¹⁵⁾، ووصفها كذلك ابن اياس بقوله " انها واسطة خير تشفع عند ابنها السلطان في اصحاب الجرائم فلا يرد لها شفاعتها"⁽¹¹⁶⁾.

وقد ذكرت المصادر التاريخية ان السلطان الأشرف شعبان يحب والدته حباً شديداً وكثير البر بها، ولا يصدر امرأ إلا بعد مشورتها فضلاً عن عدم مخالفتها⁽¹¹⁷⁾، فلما ماتت كثر عليها الأسف والحزن من الناس⁽¹¹⁸⁾، وكان لها استدار⁽¹¹⁹⁾ خاص بها، وهو علي بن أحمد الطبرسي (المتوفى سنة 786هـ/1384م)⁽¹²⁰⁾، وقد بلغت مكانتها عند ولدها السلطان الأشرف شعبان، انه كان يكتب اليها "ضاعف الله تعالى جلال حجاب الجهة الشريفة العالية الكبرى المعظمة المحببة الخاتون جلال النساء في العالمين سيدة الخواتين جميلة المحجبات جليلة المصونات والددة الملوك والسلاطين"⁽¹²¹⁾، وعندما تزوج الجاي اليوسفي⁽¹²²⁾ أم السلطان الأشرف شعبان، عين في أول سنة 774هـ/1372م بوظيفة امير سلاح⁽¹²³⁾ اتابك العساكر بالديار المصرية، واخلع عليه البيمارستان المنصوري⁽¹²⁴⁾ كونه زوج ام السلطان⁽¹²⁵⁾، وقد علق ابن تغري بردي على ذلك بقوله "فعند ذلك عظم قدر الجاي المذكور من كونه زوج أم السلطان وصار اتابك العساكر، وبهذا استطال الجاي في المملكة، فإنه قبل زواجه بأم السلطان خوند بركة كان من جملة الأمراء المقدمين لاغير"⁽¹²⁶⁾، بيد أن مكانته ومنزلته انحطت بعد وفاتها، بسبب خلافه مع السلطان بشأن تركتها⁽¹²⁷⁾.

وكان للجواري أثرٌ كبير في عهد السلطان الأشرف شعبان، فعندما سألته دنيا بنت الاقباعي المغنية سنة 778هـ/1377م، في إسقاط ضمان المغاني استجاب لها⁽¹²⁸⁾. وقد تدخلت النساء في بلاد الشام أيضاً في الحياة السياسية، ولا سيما في أمر تولي نيابة السلطنة في بلاد الشام، وهو تطور مهم آنذاك ومثال ذلك ما قامت به زوجة بردك الظاهري⁽¹²⁹⁾ (ت 875هـ/1470م) التي كان لها دور كبير في تولي زوجها نيابة السلطنة في بلاد الشام للمرة الثانية، وقد أشار ابن طولون إلى ذلك بقوله "انه تولي نيابة الشام مرة ثانية، بشفاعه زوجته"⁽¹³⁰⁾، واستمر بها إلى أن توفي، وتولت زوجته أمر دفنه، وكانت نهايته برواق تربة بالقبيبات⁽¹³¹⁾، واقامت بها مدة بعد خروجها من دار السعادة⁽¹³²⁾. ومن النساء اللاتي لعبن دوراً في الحياة السياسية في بلاد الشام كتجش وبكانت من الخواتين الكبار، فكان الأمير تنكز نائب الشام يبالغ في احترامها وتقديرها، وكانت تعلمه اخبار القوم ومستجداتهم وما يدور بينهم، وتجهز له كل سنة ملابس كاملة مزركشة بالذهب؛ لأن الأمير كما يتضح من المصادر التاريخية تعجبه هذه الكماليات ويلازم لبسها لما فيها من الظرافة وحسن الصناعة⁽¹³³⁾.

كما عظمت منزلة أحمد بن محمد الطولوني شهاب الدين الذي كان يعمل كبيراً للصناع في العمائر عند الملك الظاهر برقوق⁽¹³⁴⁾ (784-801هـ/1382-1398م)؛ لأن الملك الظاهر تزوج من ابنته⁽¹³⁵⁾، وجعله من الخاصكية⁽¹³⁶⁾، وإمرة عشرة⁽¹³⁷⁾.

وكان لخوند شيرين أم الناصر فرج بن برقوق⁽¹³⁸⁾ (801-808هـ/ 1399-1405م) التي توفيت سنة 802هـ/ 1399م، مكانة كبيرة لدى ابنها، وعندما أراد معاقبة الأمير تغري بردي⁽¹³⁹⁾، وكان مسجوناً بسبب انضمامه إلى الأمير ايتمش⁽¹⁴⁰⁾ والأمير تنم⁽¹⁴¹⁾ وخروجهم على السلطان الناصر فرج، وكان لخوند شيرين آنذاك جاه عظيم⁽¹⁴²⁾، فقد تمكنت هذه المرأة من الشفاعة له عند السلطان الناصر فرج، إذ أمر الأخير بإطلاق سراحه ونفيه إلى مدينة القدس⁽¹⁴³⁾.

والى جانب ذلك، كانت بعض النساء المملوكيات تخشى على ابنائها من الاقتتال فيما بينهم للاستحواذ على عرش السلطنة، ومثال ذلك ما قامت به خوند قنقباي أم المنصور عبدالعزيز⁽¹⁴⁴⁾ بن الظاهر برقوق من جهود في سبيل المحافظة على ولدها المنصور من بطش اخيه الناصر فرج، فقد ذكرت المصادر المتيسرة انه لما اختفى الأخير سنة 808هـ/1405م اختار الأمراء المماليك أخاه الملك المنصور على عرش السلطنة، وقد اعترضت تلك السيدة على هذا الاختيار، وحجبت ولدها المنصور عن الأمراء المماليك؛ لأنها كانت تخشى عليه من اخيه الناصر فرج، بيد ان الأمراء المماليك أصرّوا على اختيارهم له، واخذوه منها بالحيلة، وكان صغيراً يعيش في كفها، وبعد تبوأه لعرش السلطنة صارت خوند الكبرى، وسكنت قاعة العواميد؛ لأن ولدها لم يبلغ سن الرشد وليس له زوجة⁽¹⁴⁵⁾.

ولما عاد الناصر فرج للسلطنة، وأرسل المنصور عبدالعزيز إليها بالدور السلطانية، ثم تم نفيها مع ابنها إلى الإسكندرية التي مات فيها ابنها بظروف غامضة واتهم الناصر فرج بسمها⁽¹⁴⁶⁾.

ومن الخوندات اللاتي كان لهنّ تأثير في الحياة السياسية خوند سعادات⁽¹⁴⁷⁾ أم أحمد⁽¹⁴⁸⁾ ابن المؤيد شيخ الذي تولى السلطنة سنة 824هـ/1421م، وكان عمره وقتذاك سنة وثمانية اشهر وسبعة ايام، وقام الأمير ططر⁽¹⁴⁹⁾ بتدبير الأمور، وحاولت الخونده الحفاظ على سلطنة ابنها بزواجها من الأمير ططر، ثم بعد ذلك خرج الأمير معها إلى بلاد الشام، بسبب عصيان نائب الشام، وبعد القضاء على أمراء الشام قام الأمير ططر بعزل ابنها السلطان أحمد بن المؤيد، وتولى السلطنة بدلاً عنه⁽¹⁵⁰⁾.

وكان لخوند جلبان⁽¹⁵¹⁾ زوجة الأشرف برسباي⁽¹⁵²⁾ (825-841هـ/1422-1438م) نفوذ كبير عند السلطان، إذ كان يأخذ برأيها ومشورتها، وكان مطيعاً لما تأمره به⁽¹⁵³⁾، ومن أجلها بعث السلطان برسباي يطلب اخوتها واقاربها من بلاد الجركس، وانعم عليهم بالرواتب والاقطاعات والوظائف، وكانت من عظماء نساء المماليك، إذ هيأت الظروف لابنها ليكون امير مائة مقدم الف وهو مراهق، وقد ذكر ابن تغري بردي انها "من عظماء النساء ولو عاشت حتى تسلطن ولدها العزيز لكانت دبرت ملكه احسن تدبير"⁽¹⁵⁴⁾.

وكان لزواج الأمير خليل بن شاهين بأختها سبب في ارتفاع منزلته، إذ تولى محبوبة الاسكندرية ثم نيابتها⁽¹⁵⁵⁾.

وقد بلغت خوند زينب خاص زوجة الأشرف اينال⁽¹⁵⁶⁾ من المكانة والنفوذ حتى صارت تدبر أمور المملكة من تولية وعزل، وكانت نافذة الكلمة في الدولة، ولم يكن السلطان الأشرف اينال يخالفها فيما تأمر به، وحظيت بمكانة مرموقة عنده، فلم يتزوج أو

يتسرى بغيرها⁽¹⁵⁷⁾، وكان لها أيضاً دور مهم في تولية ابنها المؤيد أحمد⁽¹⁵⁸⁾ بن اينال السلطنة سنة 865هـ/ 1461م في اثناء مرض أبيه، ففي جمادى الأولى من هذه السنة اشرف السلطان الأشرف اينال على الموت، مما جعل الأمير بردبك⁽¹⁵⁹⁾ صهر السلطان يجتمع بخوند زوجة السلطان ليخبرها فساد الأحوال واضطراب الأمور، مما يتطلب من السلطان ان يعهد بأمور السلطنة إلى ولدها، فدخلت على السلطان وحدثته عن ذلك، فأمر بأحضار الخليفة والقضاة الأربعة وأرباب الدولة وشهد عليه الحاضرون بخلع نفسه من السلطة وتولية ولده⁽¹⁶⁰⁾، كما كان لابنة السلطان الظاهر اينال زوجة برسباي⁽¹⁶¹⁾، التي وصفها ابن طولون في قوله "بأنها غلبت امرها على زوجها وقهرته"⁽¹⁶²⁾، إذ كان لها من القوة والنفوذ مما جعل زوجها يتفرد اغلب أوقاته في الاصطبل غربي دار السعادة وهي كالمطلقة اتقاء لشرها⁽¹⁶³⁾.

ومن الشواهد الأخرى التي تدلل على النفوذ الذي بلغته النساء في الحياة السياسية، ان بعض الرجال وصلوا إلى مناصب الدولة عن طريقهن، فقد تولى حسين نجم الدين بن عبدالله السامري (ت 831هـ/ 1427م) منصب كاتب السر⁽¹⁶⁴⁾ بدمشق، وجمع بينها وبين نظر الجيش⁽¹⁶⁵⁾ بمساعدة صهره زوج بنت امرأته ازبك الدودار⁽¹⁶⁶⁾، إذ كان له دور فاعل في ذلك، من خلال تأثيرها على زوجها الذي أسهم في وصول حسين نجم الدين إلى ذلك المنصب⁽¹⁶⁷⁾.

والواقع أن النفوذ الواسع الذي تمتعت به النساء في عصر سلاطين المماليك كان سبباً في اثاره عدد من فقهاء هذا العصر ومنهم ابن تيمية الذي يرى أن دخول النساء في الحياة السياسية من المفاصد إذ يقول "أكثر ما يفسد الملك والدول طاعة النساء"⁽¹⁶⁸⁾. ويظهر دور النساء أيضاً في فض النزاع وحل المشكلات القائمة بين افراد الأسرة، ومثال ذلك ما حدث سنة 838هـ/ 1435م عندما وثب فياض بن ناصر الدين بن دلغادر⁽¹⁶⁹⁾ على ابن عمه حمزة أمير مرعش⁽¹⁷⁰⁾، فأحتل مدينته، واستقر بها، بغير امر من السلطان، فتوجه الأمير قرقماس نائب حلب فقبض على فياض المذكور وولاه لابن عمه حمزة بك بن دلغادر فبلغ ذلك ناصر الدين بك والد فياض، وهو يومئذ كان اميراً على الابلسيتين⁽¹⁷¹⁾ وقيصريية⁽¹⁷²⁾، فصعب عليه وجهز قرقماس الشعباني، وارسل فياض إلى القاهرة فسجن بالقلعة، ولم يكن أمام ناصر الدين إلا أن يرسل زوجته خديجة والدة فياض إلى حلب لتشفع في امر ولدها، وجهز هدية معها، فضلاً عن مفاتيح قيصرية، ولما وصلت إلى مدينة حلب، استقبلت وقبالت هديتها وافرغ عن ولدها وأعطى إليه نيابة مرعش، واستقر والده على حكم قيصرية، وكان ابراهيم بن قرمان صاحب قونية ببلاد الروم قد راسل السلطان ان يعطيه قيصرية على ان يحمل كل سنة عشرة الاف دينار، فأمر لقرماس نائب حلب ان يتجهز لأخذ قيصرية، ويسلمها لابن قرمان، ولكن وساطة الام أدت إلى بقاء ناصر الدين عليها⁽¹⁷³⁾.

وبلغت النساء من المكانة التي تدخل فيها السلطان للإصلاح بينهم وبين أزواجهن، كما حدث في سنة 895هـ/ 1490م عندما ذهب زعيم الحرافيش⁽¹⁷⁴⁾ ابن شعبان وزوجته من مدينة دمشق إلى القاهرة، ليتوسط عند السلطان المملوكي الأشرف قايتباي⁽¹⁷⁵⁾ (872-901هـ/ 1467-1495م) في حل الخلاف القائم بينه وبين زوجته، ولدى عودته إلى مدينة

دمشق، استقبل من قبل الاوباش الذين كانوا يقرعون الطبول، ويصفقون ابتهاجاً بقدومه، وجرى الترحيب بزوجه بطريقة مماثلة من قبل مائتي امرأة كن يرتدن عصابات صفراء، قائمات بالعمل الاحتفالي نفسه⁽¹⁷⁶⁾.

وانتشر نشاط الحرافيش بين النساء في دمشق، فقد ورد ان ابن شعبان سلطان الحرافيش، كان يسير في موكب خاص به، وأيضاً كانت زوجته صاحبة موكب نسائي خاص،⁽¹⁷⁷⁾

وكانت الأم تشارك في المواكب السلطانية القادمة من المدن الشامية، كما حدث في سنة 894هـ/1478م عندما دخل الوفد الحلبي إلى مدينة دمشق، وعلى رأسهم ابن نائب مدينة حلب، وبصحبه والدته في ابهة عظيمة، وفي اليوم التالي خرج الوفد الحلبي إلى قبة يلبيغا ترافقهم في محفة حافلة يصحبهم مجموعة من الأمراء وكبار رجال الدولة⁽¹⁷⁸⁾. وتدخلت بعض الأمهات في حل مشكلات أبنائهن مع السلطات العليا، ولم يقتصر ذلك على طبقة الناس العامة، بل كذلك أمهات رجال الدولة، ومثال ذلك ما قامت به أم القاضي الشافعي الولي الفروري سنة 912هـ/1506م، حيث ذكرت المصادر أنها سافرت إلى مصر لتشفع في ولدها المسجون في مدينة دمشق وقد نجحت في مسعاها⁽¹⁷⁹⁾.

وكان لخوند أصل باي أم الناصر محمد بن قايتباي⁽¹⁸⁰⁾ (901-904هـ/ 1496-1498م) دور في عهد ابنها، وقد أشار ابن اياس في حوادث سنة 903هـ/ 1497م إلى ان خوند أصل باي أم الناصر محمد خافت على ولدها من خاله قانصوه⁽¹⁸¹⁾ وان المماليك قد التفوا عليه، فأحضرت المصحف العثماني بين يديها في قاعة العواميد، وحلفت عليه اخاها قانصوه وابنها الناصر محمد بوفاء كل منهما إلى صاحبه، ولم يفد من ذلك الايمان شيء⁽¹⁸²⁾.

وتدخلت خوند أصل باي في شؤون الحكم في سلطنة ابنها الناصر حتى ان الأمير كرتباي⁽¹⁸³⁾ كان يصرخ في مجلسه بالشام ويقول: انا من تحت حكم صبي وامرأة، ويعني الناصر وأمه⁽¹⁸⁴⁾.

كما حاولت أصل باي منع ابنها من الزواج من مصر بأي الجركسية ارملة كرتباي، وفي هذا الصدد يشر ابن اياس إلى انه "وقع بين السلطان وأمه بسبب زواج مصر باي ما لاخير فيه، وكانت عليه كعب الشؤم" (185).

وكان لجواري السلاطين والأمراء نفوذ ومكانة كبيرة أيضاً داخل بلاط المماليك، وكان لهن الكلمة المسموعة بفضل استمالتهن لقلوب السلاطين، وقرر لبعضهن أيضاً من اداء دور مهم في الحياة السياسية، فالجارية حديق بلغت مكانة لم تتلغها غيرها من الجواري في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون وتحكمت بشؤون الحريم السلطاني وبكل ما يخص نسائه، وصار يقال لها الست حديق ، حتى انها قامت برفع الظلم عن التجار سنة 737هـ/1336م فسمع السلطان لشفاعتها كونها مربيتها⁽¹⁸⁶⁾.

وفي سنة 742هـ/1341م في أثناء عهد السلطان الملك المنصور أبي بكر بن الناصر محمد بن قلاوون⁽¹⁸⁷⁾ (741-742هـ/1341م)، طلب الأمير بشتاك⁽¹⁸⁸⁾ من السلطان ان يوليه نيابة الشام، وبعث إلى كل الأمراء الكبار يطلب منهم المساعدة على ذلك، وفرق عليه معدداً من الجواري، بحيث لم يبق اميراً إلا وارسل له جارية، مما يدل

على استيلاء الجوّاري على أمور الدولة⁽¹⁸⁹⁾، وكان أرباب الوظائف المختلفة يلجأون إلى الجوّاري ويحملون الهدايا القيمة لهن حتى تستقرّ لهم الوظائف، والامر نفسه بالنسبة الى ارباب الرواتب سواء كانوا من المماليك أو غيرهم⁽¹⁹⁰⁾.

ثانياً: دور نساء المماليك وجواريهن في احاكة المؤامرات السياسية

شهد التاريخ السياسي للمماليك بحقبتيه وفي احيان عدة مشاركة بعض النساء المملوكيات أو الجوّاري في العديد من المؤامرات السياسية سواءً للتخلص من أزواجهن أو من اجل وصول احد ابنائهن لعرش السلطنة المملوكية أو تحريض أزواجهن على قتل بعض الأمراء المماليك أو التنكيل بأحدهم لدوافع مختلفة، وهناك نماذج نسائية من هؤلاء النسوة ارتبطت اسمائهن بهذه المؤامرات، ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى ان ضلوع النساء بالمؤامرات السياسية بدأ منذ بواكير نشأة الدولة المملوكية، فشجرة الدر- وكما اسلفنا سابقاً- دبرت مؤامرة لقتل زوجها السلطان عز الدين ايبك بدافع الغيرة⁽¹⁹¹⁾، وقد ارتبط اسم هذه السيدة أيضاً في مؤامرة اغتيال احد أمراء المماليك البحرية وهو فارس الدين اقطاي بعد قدومه من الصعيد مع جماعة من المماليك البحرية، إذ اتهمت هذا الأمير بعدم الانقياد لسلطة زوجها، واتخاذ قرارات من دون الرجوع إليه ولا سيما زواجه من ابنة صاحب حماة، واصراره على السكن في القلعة على الرغم من معارضة زوجها عز الدين ايبك لذلك⁽¹⁹²⁾، ولم تكتف بذلك بل حرصت زوجها على قتله بذريعة ان "هذا نحس"⁽¹⁹³⁾، وقد استجاب عز الدين ايبك لها وقام بقتله في قلعة المنصورة، ورمي رأسه من اعلى القلعة إلى ممالكه سنة 652هـ/1254م⁽¹⁹⁴⁾.

وقامت والدة المنصور علي بن ايبك الذي تولى السلطنة بعد مقتل والده، باجبار الأمراء المعزية على القسم له ومبايعته له وبايعوه، وأصبح قطز اتابكاً له⁽¹⁹⁵⁾، فقامت والدته بتدبير أمور الحكم وبعد مقتل المعز ايبك قامت باغتيال شجرة الدر انتقاماً منها؛ لأن الأخيرة كانت تمنع ايبك من الاتصال بزوجته أم المنصور علي، والزمته بطلاقها⁽¹⁹⁶⁾، وبعد مقتل ايبك امتنعت شجرة الدر والمماليك في دار السلطنة، وطلب المماليك المعزية اقتحام الدار عليهم لقتلها انتقاماً للسلطان المعز ايبك، إلا ان المماليك الصالحية حالوا بينهم وبين شجرة الدر بوصفها زوجة استاذهم الصالح ايوب، ثم اخرجت إلى البرج الأحمر بالقلعة وحبس به، وقبض على الخدام الذين كانوا معها، واقتسم الأمراء جواريهها، واخذت والدة المنصور تحرض المماليك على الأخذ بثأر استاذهم المعز وقتل شجرة الدر⁽¹⁹⁷⁾.

ومهما يكن من الأمر، فقد قام المماليك بأحضار شجرة الدر إلى والدة المنصور علي بن ايبك، فأخذت تضربها هي وجواريهها وخدامها إلى ان ماتت، ثم القيت من اعلى سور القلعة إلى الخندق وهي عريانة، فحملت ودفنت في تربتها⁽¹⁹⁸⁾ المجاور لمشهد نفيسة⁽¹⁹⁹⁾. والواقع، فإن الانتقام بهذه الطريقة القاسية من قبل والدة أم المنصور من غريماتها شجرة الدر، يفصح عن الغل والحقد الذي ملء قلب هذه السيدة من تصرفات شجرة الدر في أثناء حكم زوجها عز الدين ايبك، إذ كانت الأخيرة وكما يتضح من المصادر التاريخية المتيسرة تكن لها كرهاً وحقدًا معلناً من خلال منع عز الدين ايبك من الدخول إليها، فضلاً عن ذلك، فإن والدة المنصور أخذت على شجرة الدر لما ايقنت الأخيرة انها مقتولة لا محالة بسحق الجواهر النفسية في الهاون لئلا تقع في يد ابنها المنصور⁽²⁰⁰⁾.

ولم يكن الدور الذي أدته والدته السلطان المنصور علي في المؤامرات السياسية مقتصرًا على التحريض واغتيال شجرة الدر فحسب، بل حرصت أيضاً على قتل الوزير شرف الدين ابن صاعد الفانزي⁽²⁰¹⁾، الذي تولى الوزارة لابنها المنصور علي مدة قليلة ثم قتل سنة 655هـ/1257م، ويبدو أن والدته المنصور كانت تدرك أن الوزير الفانزي لم يكن راضياً عن حكم ابنها فأمرت بالقبض عليه وسجنه⁽²⁰²⁾، وقد اتهمته أيضاً بالتعاون مع زوجها عز الدين أبيك في إخفاء جوارى عنده⁽²⁰³⁾، وكذلك عزمه على السير إلى الملك الناصر صاحب الشام ليستدعيه لمصر ويساعده على اخذ المملكة⁽²⁰⁴⁾، وعلى الرغم من أن الوزير وعد بدفع المال مقابل خروجه من السجن، حيث دخل ذات يوم قاضي القضاة بهاء الدين السنجاري عليه، فسأله اطلاق سراحه مقابل أن يدفع كل يوم ألف دينار ولمدة سنة، وعلى الرغم من قبوله بدفع ما طلب منه من أموال إلا أن والدته السلطان المنصور امتنعت من اطلاق سراحه ولم ترض إلا بقتله⁽²⁰⁵⁾.

ومما يبدو، فإن والدته المنصور استمرت على سياستها في التنكيل بمن تراه أنه يشكل خطراً عليها أو ابنها حتى تمكن المظفر قطز من اعتقالها مع ولدها المنصور وولدها الآخر قان، وقام بنفيهم في عهد الظاهر بيبرس إلى القسطنطينية⁽²⁰⁶⁾. وأقدمت زوجة الظاهر بيبرس على قتل الملك المغيث صاحب الكرك بذريعة كره الأخير لها، إذ استغلت خروج زوجها الظاهر من الكرك وبقيائها فيه⁽²⁰⁷⁾، واصرت على احضار الملك المغيث سنة 661هـ/1262م وامرت جواريا بقتله بالقباقيب⁽²⁰⁸⁾.

وقد عملت النساء المملوكيات أيضاً على قتل كل من يحاول إبعاد ابنائهن عن العرش أو لمجرد ما يصل إلى أسماعهن من نية بعض الأمراء المماليك للاستحواذ على منصب السلطنة، فقد ذكر ابن الفرات "أن صاحب بن حنا قال لأم الملك السعيد أن الأمير بدر الدين بيلبال خازن دار يطلب الأمر لنفسه فصدقته لعظمته"⁽²⁰⁹⁾، ثم قامت بعد ذلك بدس السم للأمير بدر الدين بيلبال سنة 676هـ/1277م، بعد أن توجه إليها ليعزيها بالسلطان بيبرس ولتتهنئتها بسلطنة ولدها⁽²¹⁰⁾، وفي هذا الصدد يقول ابن أبي الفضائل "دخل الأمير إلى الستارة عند والدته الملك السعيد على أن يعزيها بالسلطان ويهنئها بالملك السعيد، فشكرت فعله ودعت له وأخرجت له هناد سكر وليمون، وحلفت عليه أن يشرب بعدها وأوهمته أنها شربت منه، فشرب جرعتين لا غير وفي الثالثة من كثرة ما لجوا عليه فكانت القاضية فيه فتوجه إلى داره وتوعك وحصل له تقطع في الأمعاء وادعى أنه قولنج وكان طبيبه عماد الدين ابن النابلسي دفعوا إليه ثلاثة آلاف دينار وقالوا خذ هذا وساعدنا في هلاكه"⁽²¹¹⁾.

ولم يقتصر الأمر على نساء المماليك، إذ ارتبطت جوارى السلاطين أيضاً بالعديد من المؤامرات السياسية، وقد استخدمت بعضهن كعيون لبعض كبار الأمراء لأغراض التجسس عليهم والوقوف على ما يحاك في القصر السلطاني من مؤامرات ضدهم، ورصد تحركاتهم، ومثال ذلك ما ورد في حوادث سنة 762هـ/1361م في أيام السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون⁽²¹²⁾ (748-752هـ/1347-1351م)، إذ عندما بلغه أن يلبيغا الخاصكي⁽²¹³⁾ يريد قتل السلطان، وأنه سيدخل في خدمة السلطان وهو لابس آلة الحرب من تحت ثيابه، فاستدعاه السلطان، فأخلى سبيله، وخلع عليه، فغضب الأمير يلبيغا واشتد

حنقه على السلطان، وظهر العصيان، والبس مماليكه آلة الحرب، فلما علم السلطان بذلك، قرر ان يخرج إليه في طائفة من مماليكه ليكسبه على غرة ويأخذه من مخيمه، إلا ان الخبر وصل إلى الأمير يلغا من تلك الجارية فكانت سبباً في زوال ملك السلطان الناصر حسن⁽²¹⁴⁾.

وذكر المقرئ أيضاً، ان جوارى القصر أخبرت الأمير أرغون العلاني⁽²¹⁵⁾ والأمير الحجازي⁽²¹⁶⁾ بأن السلطان الكامل شعبان يتحين الفرصة للقضاء عليهما⁽²¹⁷⁾.

وكان للنساء من غير الطبقة الحاكمة أيضاً اثر غير مباشر في قتل بعض السلاطين، عن طريق الوشاية، فقد وشت أمانة المشتولي بالسلطان الأشرف شعبان سنة 778هـ/ 1376م، وكانت سبباً في القبض عليه، وكان السلطان قد اقام في منزلها اياماً ولم يشعر به احد، بيد انها عندما رأت اضطراب الأوضاع في القاهرة، وكثرة مدهامة المماليك للبيوت والحارات بحثاً عنه، واتهامها بإخفائه في بيتها، ذهبت إلى الأمير اينك البدي، لتخبره عن السلطان في بيتها، مقابل الحصول منه على الأمان، ثم ذهبت وبصحبتها مائة مملوك لتدخلهم على مكان اختباء السلطان⁽²¹⁸⁾، وكانت تسكن بحارة المحمودية من القاهرة، فركب الأمير قرطاي في عدة وافرة، ووصلوا بيت أمانة، ووجدوا السلطان فيه وقبضوا عليه⁽²¹⁹⁾.

وكان لتعدد الزوجات في العصر المملوكي أثر كبير في انتشار المؤامرات بين زوجات السلاطين وجواريه أيضاً، فأخذت كل واحدة منهن تكيد للآخرى، للفوز بمحبة السلطان والإيقاع بالمنافسة في امتلاك قلب السلطان، وذلك عن طريق السحر فإذا ماتت أو مرضت احدى زوجات السلاطين اتهمت الاخرى بسحرها، فخوند مغل بنت القاضي نصر الدين البارزي زوجة الظاهر جقمق طلقها السلطان وانزلها من القلعة لاتهامها بعمل سحر لمحظيته سورباي الجركسية، مما ادى إلى موتها⁽²²⁰⁾، ولما مرضت خوند شيرين والدة السلطان الناصر فرج، ولزمت الفراش، اتهم السلطان الناصر فرج زوجات أبيه بسحرها حسداً وبغضاً، واتهم احدى الجوارى مع أحد الكتّاب الناصري بسحرها، فضربوا ولم يعترفوا فحبسوا حتى ماتوا⁽²²¹⁾.

وذكرت المصادر أيضاً، انه لما مرض الصالح إسماعيل اتهمت والدته أم السلطان الأشرف كجك⁽²²²⁾ (ت 742هـ/ 1341م)، وضربت عدة من جواريه ليعترفن عليها⁽²²³⁾. وكان لعاطفة الغيرة اثر في اقدام بعض الجوارى ولا سيما المتزوجة من سلطان متزوج من امرأة اخرى من اصول حرة، إذ تقوم تلك الجارية نتيجة لشعورها بالاحباط أو بدافع الحقد من سيدتها الحرة بأفعال انتقامية وقاسية تشفياً من تلك السيدة، ومثال ذلك ما ورد في حوادث سنة 838هـ/ 1434م، عندما اقدمت جارية برمي ابن سيدها من الطاق إلى الخليج الناصري، فغرق ومات وكان عمره نحو ست سنين، فدفع بها السلطان إلى قاضي القضاة وحكم عليها بالغرق في الخليج⁽²²⁴⁾.

وفي أحيان عدة تلجأ بعض النساء إلى الانتقام من قتلة ابنائهن، ومثال ذلك عندما قرر الأمراء المماليك سنة 724هـ/ 1341م خلع السلطان المنصور أبي بكر بن الناصر محمد بن قلاوون من السلطنة، ونفيه إلى قوص، وكان ذلك بتدبير من مدير امور السلطنة الأمير قوصون⁽²²⁵⁾، وقد لجأ السلطان إلى امه لطلب المشورة منها للاذعان لهذا القرار أو رفضه،

ولم يكن امام أمه سوى الاذعان لرغبة الأمير قوصون، وقام الأخير بإخراجه مع اخوته ونفيهم إلى قوص بعد تعنيفهم، ووضع الحديد في رقابهم والخشب في ايديهم⁽²²⁶⁾، وذكرت المصادر التاريخية ان ذلك كان يوماً مشهوداً تألم الناس فيه كثيراً على ابناء الناصر محمد بن قلاوون⁽²²⁷⁾، وقد عهد إلى الأمير جركتمر⁽²²⁸⁾ بن بهادر بأصطحابهم إلى قوص، وقد اختلف في وفاة السلطان أبيبكر، فقد قيل ان هتوعك وكان طفلاً صغيراً لم يتجاوز الثمان سنوات، وتوفي على اثر ذلك⁽²²⁹⁾، وقيل ان جركتمر بن بهادر قتله بمشورة من قوصون، ويقال أيضاً ان السلطان أبا بكر قام في السجن أياماً، ثم أرسل قوصون إلى متولي قوص ليدير مقتله وهو في السجن، فقتله خنقاً، ثم قطع رأسه وأرسله إلى قوصون، وكنتم وفاته عن الناس⁽²³⁰⁾، ولم يكن امام والدة السلطان أبي بكر سوى الانتقام لقتل ابنها سواءً من جركتمر بن بهادر أو من متولي قوص، وتشير المصادر الى ان الأمير جركتمر بن بهادر قبض عليه قبل السلطان احمد الذي تولى الحكم سنة 742هـ/1341م، ثم دخلت تلك السيدة إلى بيت بهادر ومعها مائة خادم ومائة جارية ونهبت ما في بيته، والقتة إلى من تبعها من العامة، ثم طلبت من الأمراء الانتقام من قتلته أو من تأمروا عليه وتشير المصادر أيضاً إلى ان الأمير قبض أيضاً على والي قوص وامر بتسميره⁽²³¹⁾.

وكان للنساء أيضاً دور غير مباشر في المؤامرات السياسية للقضاء على بعض الشخصيات المهمة في العصر المملوكي، ومثال ذلك ما قامت به بنت صرق، وكانت طليقة السلطان الناصر فرج بن برقوق، فقد ذكرت المصادر التاريخية ان هذه المرأة كانت سبباً مباشراً في اغتيال احد الأمراء المماليك في ذلك الوقت، وقد امر السلطان الناصر فرج بن برقوق في سنة 814هـ/1411م بقتل هذه المرأة ومعها الأمير شهاب الدين احمد بن محمد الطبلابي⁽²³²⁾ بعد ان تنهى إلى سمعه ان هذه المرأة تأتي إلى الأمير شهاب الدين في منزله بغرض الفاحشة⁽²³³⁾.

وذكر المقرئ أيضاً، ان السلطان فرج بن برقوق لما تيقن من انحراف أخلاقها، ارسل في طلبها وكانت تظن انه يريد ارجاعها إلى عصمته، فخرج السلطان وجلس على مصطبة، واقبلت هي لتقبيل يده فنهرها ونهض وقطع أصابعها ثم ضربها ضربة ثانية حتى دخلت الحمام ودخل وراءها وقتلها في صحن الحمام، وقطع رأسها وغطاها بفوطة، وطلب الأمير الطبلابي وكشف له عن الفوطة ووضعها بين يديه، ومن ثم قتله، ولف جثتيهما في لحاف واحدة، وامر بدفنهما في قبر واحد⁽²³⁴⁾.

ومن النساء اللاتي كان لهن دور في المؤامرات السياسية خوند سعادات أرملة المؤيد شيخ المحمودي، إذ كان الاخير متزوجاً من خوند سعادات بنت صرغتمش، وانجبت له ابنه أحمد، ثم تزوجها الظاهر ططر، وبعد وفاة المؤيد شيخ تولى السلطنة الظاهر ططر سنة (824هـ/1421م) الذي اعلن الوصاية على الطفل احمد الصغير بن المؤيد شيخ الذي لم يبلغ من العمر سوى سنة واحدة وثمانية شهور، ثم قام بالقبض على الأمير الطنبغا الذي كان وصياً على ابن المؤيد شيخ ليفرد بالسلطنة من دون مسوغ شرعي، ثم قام بالزواج من أرملة السلطان المؤيد شيخ، وعلن وصايته على ابنها الصغير⁽²³⁵⁾، وبعد ان انفرد الظاهر ططر بالسلطنة طلق زوجته أرملة المؤيد شيخ واعتقل ابنها احمد

بالإسكندرية، إلا أن سلطنته لم تدم طويلاً، إذ قيل إن أرملة المؤيد شيخ دست له السم في أثناء مرضه، انتقاماً لما فعله بولدها الصغير وتكره لهما⁽²³⁶⁾.

ومما تقدم، فإن العصر المملوكي بحقبته قد شهد انفتاحاً على شريحة النساء لم يسبق لأية دولة إسلامية في العصر الإسلامي الوسيط انتهاجه، والأنكى من كل ذلك أن الدولة المملوكية قد سمحت لنساء المماليك في دخول المعترك السياسي، وتقلد المناصب العليا؛ فلأول مرة تتبوأ أمرة في الدولة العربية الإسلامية عبر عصورها المتعددة عرش السلطنة في إحدى أهم مناطق هذه الدولة وهي مصر، مما أشر تطوراً مذهلاً وانجازاً سياسياً نوعياً للدولة المملوكية على الرغم من تحفظ الخلافة العباسية والفقهاء وبعض شرائح المجتمع المصري بسبب النظرة الضيقة للمرأة من جهة، والأعراف والتقاليد الموروثة التي تسمح فقط للذكور تبوأ المناصب السياسية العليا في الحكم والإدارة من جهة أخرى.

وعلى الرغم من قصر المدة التي تبوأ فيها إحدى أهم نساء العصر الإسلامي الوسيط وهي شجرة الدر منصب السلطنة في مصر، إلا أنها قد أفصحت عن مكنوناتها القيادية في الحكم والإدارة.

ولم يقتصر العصر المملوكي على هذا الأنموذج السياسي النسائي الأكثر تأثيراً في الأحداث السياسية لعقد من الزمان، فقد شهد هذا العصر أيضاً مشاركة نسائية متميزة في الحكم والإدارة، فلا يخلو عهد سلطان في الدولة المملوكية من وجود نماذج نسائية أخرى لهن تأثير سياسي ملفت للنظر ولو أقل مما تمتعت به شجرة الدر، وقد أظهرت هذه الدراسة العشرات من نساء هذا العصر ممن كان لهن نفوذ سياسي، وكان لهن تأثير واضح في مجريات الأحداث السياسية للدولة المملوكية سواء في مصر وبلاد الشام.

هوامش البحث ومصادره

- (1) ابن تغرى بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت 872هـ/1467م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، (د.ت)، ج 6، ص 373.
- (2) اليونيني، أبو الفتح قطب الدين موسى بن محمد (ت 726هـ/1325م): ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1993م، ج 5، ص 197؛ ابن كثير، عماد الدين بن إسماعيل (ت 774هـ/1372م): البداية والنهاية، دار ابن كثير، بيروت، (د.ت)، ج 13، ص 212؛ الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748 هـ / 1346م): العبر في خبر من غبر، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن سيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، ج 3، ص 376.
- (3) ابن كثير: البداية والنهاية، ج 13، ص 199؛ ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيمن (ت 809هـ/1406م): الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور وأحمد السيد دراج، دار احياء التراث الإسلامي، السعودية، 1982م، ص 251.
- (4) الصفدي، صلاح الدين خليل بن إيبك (ت 764هـ/1362م): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، 2002م، ج 16، ص 70؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/1332م): نهاية الأرب في فنون الادب، تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، منشورات محمد علي بيبضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ج 29، ص 218؛ ابن اياس، محمد بن أحمد (ت 929هـ/1543م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1975م، ج 1، ص 1، ص 279؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق عبدالسلام تدمري، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م، ج 14، ص 777.
- (5) سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف (ت 654هـ/1256م): مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، تحقيق إبراهيم الزبيق، الرسالة العالمية، د.م، (د.ت)، ج 22، ص 409؛ المقرئ، أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج 1، ص 440؛ السيوطي: جلال الدين بن عبد الرحمن (ت 911هـ/1505م): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1967م، ج 2، ص 35؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج 1، ص 1، ص 278.
- (6) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت 732هـ/1331م): المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية، مصر، (د.ت)، ج 3، ص 180؛ النويري: نهاية الارب، ج 29، ص 216.
- (7) المقرئ: السلوك، ج 1، ص 458؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج 6، ص 328.
- (8) ابن العبري: أبو الفرج غريغوريوس يوحنا (ت 685هـ/1286م): تاريخ مختصر الدول، تحقيق انطوان اليسوعي، دار الشرق، بيروت، 1992م، ص 259؛ أبو الفداء: المختصر في اخبار البشر، ج 3، ص 80؛ ابن الوردي، عمر بن المظفر بن عمر (ت 749هـ/1348م): تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ج 2، ص 176؛ المقرئ: السلوك، ج 1، ص 444.
- (9) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص 259؛ ابن الفوطي، أبو الفضل عبدالرزاق البغدادي (ت 723هـ/1321م): الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تصدير مصطفى جواد، مطبعة الفرات، بغداد، 1951م، ص 191؛ أبو الفداء: المختصر في اخبار البشر، ج 3، ص 285.
- (10) المقرئ: السلوك، ج 1، ص 455؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 6، ص 365؛ أحمد مختار العبادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م، ص 109.
- (11) المقرئ: السلوك، ج 1، ص 457.
- (12) الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت 764هـ/1362م): فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1974م، ج 1، ص 264؛ المقرئ: السلوك، ج 1، ص 457.

- (13) الكتبي: فوات الوفيات، ج1، ص464؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج14، ص777؛ السيد الباز العريني: المماليك، دار النهضة العربية، بيروت (د.ت)، ص46.
- (14) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج22، ص417؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج2، ص262؛ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص192-193؛ الكتبي: فوات الوفيات، ج1، ص464؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص364.
- (15) يحيى وهيب الجبوري: النساء الحاكمات من الجواري والملكات، دار مجدلاوي، الأردن، 2011م، ص120.
- (16) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج14، ص777.
- (17) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص374؛ ابن سباط، حمزة بن أحمد (ت 926هـ/1520م): تاريخ ابن سباط، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، بروس برس، بيروت، 1993م، ج1، ص351.
- (18) السلوك: ج1، ص118.
- (19) بدائع الزهور: ج1، ق1، ص287-288.
- (20) قاسم عبده: عصر سلاطين المماليك، نشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1998م، ص23.
- (21) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص370؛ فاطمة المرنيسي: السلطانات المنسيات، ترجمة عبدالهادي عباس وجميل معلى، دار الحصاد، سوريا، 1994م، ص153.
- (22) السيوطي: حسن المحاضرة، ج2، ص36؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص278.
- (23) ابن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الشافعي، ولد سنة 578هـ/1183م وتوفي سنة 660هـ/1262م، للمزيد: ينظر: الكتبي: فوات الوفيات، ج2، ص350.
- (24) المقرئ: السلوك، ج1، ص463.
- (25) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص374.
- (26) ترجمة إبراهيم الداقوقي، مطبعة السعدون، بغداد، 1973م، ص55.
- (27) مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999م، ج1، ص310.
- (28) النساء الحاكمات في التاريخ، ص56.
- (29) الدوداري، أبو بكر عبدالله (ت732هـ/1332م): كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق اورلخارمان، قسم الدراسات الإسلامية، القاهرة، 1976م، ج8، ص13.
- (30) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج1، ص56؛ المقرئ: السلوك، ج1، ص464؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص6؛ الرمال، ابن زنبيل (ت960هـ/1553م): آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليمان العثماني، تحقيق عبدالمنعم ماجد وعبدالرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م، ص67.
- (31) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج1، ص162؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج1، ص23؛ المقرئ: السلوك، ج1، ص493؛ وفاء محمد علي: الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988م، ص160.
- (32) اليافعي، عبدالله بن سعد المكي (ت768هـ/1366م): مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الاعلامي، بيروت، 1970م، ج4، ص105؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص378؛ علي إبراهيم حسن: تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة، القاهرة، 1967، ص44.
- (33) المقرئ: السلوك، ج1، ص133؛ العيني، بدر الدين محمود (ت855هـ/1451م): عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تحقيق أحمد محمد امين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009م، ج1، ص140-141؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص378.

- صقر التابع لمركز أبي المطامير بمحافظة البحيرة، وكان السلطان الأشرف خليل قد نزل تيموجنة

- لصيد الاسماك. للمزيد: ينظر: ياقوت الحموي، أبو عبدالله شهاب الدين بن عبدالله (ت 626هـ/1228م): معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، ج2، ص28؛ ابن الجيعان، شرف الدين يحيى علم الدين شاكرا (ت 855هـ/1451م): التحفة السنية في أسماء البلاد المصرية، الطبعة الأهلية، القاهرة، 1898م، ص124.
- (50) زين الدين كتبغا بن عبدالله المنصوري أصله مغولي من سبي وقعة حمص الأولى سنة 659هـ/1261م وأصبح من ممالك المنصور قلاوون وتولى نيابة السلطنة بعد قتل الأشرف خليل وقام بعزل الناصر محمد من السلطنة وتولاها هو وتلقب بالعدل كتبغا حتى خلعه نائب السلطنة حسام الدين لاجين سنة 695هـ/1295م وحبسه حتى قتل لاجين وعندما عاد الناصر محمد للسلطنة ولاه نيابة حماة حتى وفاته سنة 702هـ/1302م، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج9، ص115-119.
- (51) الوزير صاحب شمس الدين محمد بن عثمان بن أبي الرجاء التتوخي المعروف بالسلعوس، تولى الوزارة في عهد الأشرف خليل، وجرد له السلطان المماليك السلطانية في خدمته، توفي سنة 693هـ/1293م، للمزيد: ينظر: النويري: نهاية الأرب، ج31، ص190-191؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج7، ص189.
- (52) ابن حبيب، الحسن بن عمر (ت 779هـ/1377م): تذكرة النبیه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين وسعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتب، مصر، 1976م، ج1، ص173.
- (53) المقرئ: السلوك، ج2، ص251.
- (54) أواسلون بنت سكتاي بن قراجين بن جنعان نوين، مغولية الجنس ورد أبوها إلى الديار المصرية سنة 675هـ/1276م في عهد الظاهر بيبرس صحبة بيجار الرومي، وقد تزوجها المنصور قلاوون سنة 681هـ/1282م بولاية عمها قرمشي بعد موت أبيها، عاشت إلى أن أدركت سلطنة ولدها الأولى والثانية، للمزيد: ينظر: بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية في الدولة التركية، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1985م، ص107؛ ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، مجلس دار المعارف العثمانية، الهند، 1972م، ج1، ص385؛ علي إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية، ص160.
- (55) ولد سنة 684هـ/1285م، تولى السلطنة ثلاث مرات السلطنة الأولى (693-694هـ/1293-1294م)، والثانية (698-708هـ/1299-1308م)، والثالثة (709-741هـ/1310-1341م)، للمزيد: ينظر: الكتبي: فوات الوفيات، ج4، ص35.
- (56) مجهول: تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق ونشر زيتير بلوشيه، لندن، 1919م، ص30.
- (57) أبو سعيد المنصوري، من أمراء الجند في مصر، ولد في آمد، كان من ممالك جاول أحد أمراء الظاهر بيبرس وأخرج في أيام الأشرف خليل بن قلاوون إلى الكرك، وعاد إلى مصر في أيام العدل كتبغا، تولى نيابة غزة ثم عدة ولايات بمصر والشام، قتل سنة 693هـ/1294م، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج6، ص80؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج2، ص266-267.
- (58) علي إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية، ص67.
- (59) باب الغرب يطل على ميدان الرملة. للمزيد: ينظر: عبدالرحمن زكي: قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة، نهضة مصر، القاهرة، 1960م، ص51.
- (60) ابن الجزري، محمد بن إبراهيم (ت 738هـ/1337م): تاريخ حوادث الزمان وأبناؤه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تحقيق عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 1998م، ج1، ص198؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص382؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، دار الفكر، القاهرة، 1947م، ص34.
- (61) العيني: عقد الجمان، ج3، ص265.

- 401 | مجلة مداد الآداب

- حتى اختلف عليه بعد اشاعة وصلته، وقتله سنة 736هـ/ 1335م، للمزيد: ينظر: الصفي: الوافي بالوفيات، ج10، ص122-125؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج1، ص286-287.
- (78) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج1، ص498؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج3، ص109.
- (79) الوافي بالوفيات، ج9، ص245.
- (80) ابن ناظر الجيش، تقي الدين عبدالرحمن (ت 786هـ/ 1384م): تنقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق ردولف فسلي، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، (د.ت)، ص136.
- (81) الحنفي، عبدالباسط بن خليل (ت 920هـ/ 1514م): نيل الأمل بذيل الأمل، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 2000م، ج1، ص173.
- (82) أبو الفداء: المختصر في اخبار البشر، ج4، ص91.
- (83) عبدالوهاب بن فضل الله القاضي شرف الدين المعروف بالنشو، قبطي الأصل، ناظر الخاص في دولة الناصر محمد بن قلاوون، وقد تمكن من السلطان فقربه، وكثر اعداءه وقبضوا عليه سنة 740هـ/ 1338م، وتوفي في السنة نفسها، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج9، ص131-143.
- (84) وظيفة استحدثها السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وكان متوليها مختصاً بمال السلطان والخزائن السلطانية، للمزيد: ينظر: القلقشندي: أحمد بن علي (ت 821هـ/ 1418م): صبح الاعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج4، ص30.
- (85) البيومي إسماعيل الشربيني: مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك)، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1997م، ج2، ص97-98.
- (86) اليوسفي، عماد الدين موسى (ت 759هـ/ 1357م): نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، بيروت، 1986م، ص351-352.
- (87) من اشهر البرك في مصر وهي في ظاهر مدينة القسوطا فيما بين جبل المقطم والنيل، وكانت من الموات فأستنتبتها مرة بن شريك العنيسي أمير مصر، وقد أصبحت في العصر المملوكي ميدان رهان وجنان نخل وبستان، ومنازل كبرى، ومراعي ماشية، ومرتع خيل وساحل بحر، للمزيد: ينظر: المقرئزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تعليق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج3، ص267-270.
- (88) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج1، ص418.
- (89) المقرئزي: السلوك، ج3، ص279.
- (90) الدرر الكامنة، ج2، ص221.
- (91) شعبان ابن السلطان محمد بن قلاوون الملقب بالكامل، تولى السلطنة بمصر سنة 746هـ/ 1345م بعد أخيه الملك الصالح إسماعيل، ويبدو من المصادر التاريخية أنه كان طائشاً متهوراً، محباً للهو، خلعه الأمراء ووضعوا أخاه المظفر حاجي سنة 747هـ/ 1345م، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج2، ص344-345.
- (92) جمع طواشية، وهم المماليك الذين استخدموا في الطباقي المملوكية، وكانوا بمثابة حرس للحريم السلطاني، تمتعوا بحرمة واسعة وكلمة نافذة، وشيخهم من أعيان الناس، للمزيد: ينظر: المقرئزي: الخطط، ج4، ص227.
- (93) ابن عبدالله الناصري، من أعيان الخدام في عهد الناصر محمد بن قلاوون، توفي سنة 786هـ/ 1384م، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج9، ص111.
- (94) المقرئزي: السلوك، ج4، ص28؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص132.
- (95) كان اميراً على دمشق في بادئ الامر، خدم الملك الناصر عندما كان بالكر، فأعطاه نتيجة لذلك حماة، فضلاً عن تلقبه بشعار الملك وابهة السلطنة، كان محباً للعلم، له العديد من المؤلفات، للمزيد: ينظر: الكتبي: الوافي بالوفيات، ج16، ص268.
- (96) المقرئزي: السلوك، ج3، ص153.
- (97) المصدر نفسه، ج3، ص359.

- (98) ابن مهنا بن فضل بن ربيعة كان اميراً لفضل من بني طيى، خدم السلطان الناصر عندما كان بالكرك ولد سنة 684هـ/1285م، توفي سنة 749هـ/1335م، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج1، ص380-381.
- (99) اليوسفي: نزهة الناظر، ص189-200؛ الدوداري: الدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1959م، ج9، ص379.
- (100) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص133.
- (101) المقرئزي: السلوك، ج4، ص34.
- (102) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص141.
- (103) تقع بين مصر والقاهرة، ذكرها ابن سعيد عند وصفه للقاهرة بقوله " وأعجبنى في ظاهرها بركة الفيل لانها دائرة والمناظر فوقها كالنجوم، وعادة السلطان ان يركب في الليل"، للمزيد: ينظر: المقرئزي: الخطط، ج2، ص214.
- (104) لقب مختص بكبير رجال المطبخ السلطاني، وهو مركب من لفظتين، احدهما خوان وهو الذي يؤكل عليه والثاني سلار لفظة فارسية بمعنى المقدم أي مقدم الخوان، للمزيد: ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص471.
- (105) المقرئزي: السلوك، ج4، ص34.
- (106) بلدة بالصعيد الأدنى غربي النيل ، تقع في أسيوط وتعرف بابي تيج ، للمزيد: ينظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 1 ، ص506.
- (107) المصدر نفسه، ج4، ص32.
- (108) زين الدين حاجي بن محمد بن قلاوون، ولد سنة 732هـ/1331م ووالده في الحجاز، تولى السلطنة بعد عزل الأمراء لأخيه الكامل شعبان سنة 747هـ/1346م، خلعه الأمراء سنة 748هـ/1347م، دام حكمه سنة وأربعة أشهر، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج2، ص23-24؛ ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج1، ص257.
- (109) المقرئزي: السلوك، ج4، ص35.
- (110) ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، تولى السلطنة في الكرك سنة 743هـ/1342م، توفي سنة 746هـ/1345م، ومدة حكمه ثلاث سنين وثلاثة أشهر، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج1، ص452.
- (111) من أكابر الأمراء في عهد الناصر محمد، وعهود أولاده من بعده، تولى نيابة دمشق سنة 742هـ/1343م، قبض عليه السلطان الأشرف شعبان وسجن، ثم افرج عنه، ثم قبض عليه وخنق لصرامته سنة 747هـ/1346م، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج1، ص240-241؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج3، ص85.
- (112) المقرئزي: السلوك، ج3، ص416.
- (113) المصدر نفسه، ج4، ص5.
- (114) ابن حسين بن محمد بن قلاوون، تولى الحكم سنة 764هـ/1363م وعمره عشر سنين، وقام الأمير يلغا بتدبير شؤونه، ولم يسيطر على أمور دولته إلا بعد مقتل الأمير يلغا سنة 768هـ/1366م، غير انه قتل بعد مؤامرة دبرها الأمراء بعد عودته من الحج سنة 778هـ/1376م، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج2، ص113؛ ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج1، ص343-344.
- (115) المنهل الصافي، ج3، ص356.
- (116) بدائع الزهور، ج1، ق1، ص115.
- (117) ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر (ت 851هـ/1448م): تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش، دمشق، 1997م، مج3، ج2، ص418.
- (118) ابن اياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص115.

- (119) وظيفة من وظائف أرباب السيوف، يتولى صاحبها شؤون بيوت السلطان كلها في المطابخ والشرابخانة والحاشية والغلمان، وله مطلق التصرف في استدعاء كل من في بيت السلطان من النفقات وما يجري ذلك من المماليك وغيرهم، للمزيد: ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص20؛ المقرئزي: الخطط، ج3، ص64.
- (120) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1969م، ج1، ص295.
- (121) ابن ناظر الجيش: تنقيف التعريف بالمصطلح الشريف، ص136؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج6، ص172.
- (122) الأمير سيف الدين الجاي بن عبدالله، من كبار الأمراء المماليك، عينه السلطان الأشرف شعبان أمير مائة ومقدم الف، وأصبح قائداً للجيش والبيمارستان المنصوري، توفي سنة 775هـ/ 1373م، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج1، ص482.
- (123) لقب يطلق على الذي يتولى أمير سلاح السلطان، للمزيد: ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص428.
- (124) أقامه المنصور قلاوون بالقاهرة سنة 683هـ/ 1284م، وكان يتولى النظارة عليه بنفسه، ولكنه بسبب انشغاله كان ينيب عنه من يتولى النظارة، وجرت العادة في مدة حكم أبناء واحفاد الناصر محمد ان يتولى البيمارستان اتابك العساكر، للمزيد: ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص184؛ ليلي عبد الجواد بعض اضواء جديدة على وظيفة ناظر البيمارستان المنصوري، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، القاهرة، 1995م، المجلد الأول، ص214.
- (125) المقرئزي: الخطط، ج4، ص258.
- (126) النجوم الزاهرة، ج11، ص57-58.
- (127) المقرئزي: السلوك، ج4، ص359؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص117.
- (128) ابن حجر: انباء الغمر، ج1، ص163-164.
- (129) الأمير بردبك العبد الرحمن الظاهري، شغل وظيفة مقدم الف، وتولى نيابة غزة سنة 863هـ/ 1459م، ثم نيابة دمشق سنة 871هـ/ 1466م، حتى عزل منها سنة 872هـ/ 1467م، ثم أعيد لها مرة ثانية سنة 873هـ/ 1468م واستمر بها نائباً إلى سنة 875هـ/ 1480م، توفي في السنة نفسها، للمزيد: ينظر: السخاوي: شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت 902هـ/ 1496م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار الحياة، بيروت، (د.ت)، ج3، ص6؛ ابن طولون: أعلام الوري، ص85-89.
- (130) المصدر نفسه، ص85-86.
- (131) محلة بظاهر مسجد دمشق، من جهة القبلة، للمزيد: ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص308؛ البغدادي، عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت 729هـ/ 1328م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجبل، بيروت، 1991م، ج3، ص1066.
- (132) ابن طولون: أعلام الوري، ص85-86.
- (133) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج24، ص279.
- (134) ابن انص العثماني اليلبغاوي، أول سلاطين المماليك الجراكسة، كان اسمه قبل ذلك الطنباغا، فسماه استاذة يلغا برقوق، تسنم حكم السلطنة سنة 784هـ/ 1382م، وحكم ست سنين وعشرة أيام، ثم اخفى سنة 791هـ/ 1389م، وظهر بالكرك، ثم عاد للحكم مرة أخرى، توفي سنة 801هـ/ 1399م، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج1، ص187-188؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص312.
- (135) ابن حجر: انباء الغمر، ج2، ص116.
- (136) لفظ مملوك مفردة خاصكي، وهو نوع من المماليك السلطانية، وهم من المماليك الاجلاب، دخلوا الخدمة صغاراً، وصاروا من حرس السلطان الخاص، وكانوا يحضرون على السلطان في

- (154) المنهل الصافي، ج 5، ص 14-15.

- (155) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج3، ص388؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج2، ص157؛ أحمد عبدالرزاق: البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، القاهرة، 1979م، ص45.
- (156) أبو النصر العلاني، تولى السلطنة سنة 857هـ/1453م بعد عزل العزيز عثمان بن جقمق حتى وفاته سنة 865هـ/1460م، للمزيد: ينظر: الحنفي: نزهة الاساطين، ص137-138.
- (157) ابن تغري بردي: حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، 1990م، ج2، ص525.
- (158) ابن اينال، تولى السلطنة في إثناء مرض أبيه سنة 865هـ/1460م، وخلع في السنة نفسها، ولم يدم حكمه سوى أربعة أشهر وثلاثة أيام، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: مور اللطافة، ص171-172.
- (159) الاشرفي اينال زوج ابنته، نفي إلى مكة وتوفي فيها سنة 688هـ/1463م، للمزيد: ينظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص504.
- (160) ابن اياس: بدائع الزهور، ج2، ص370.
- (161) البجاسي زوج بنت السلطان الظاهر اينال الاجرود، تولى نيابة دمشق سنة 868هـ/1462م وبقي بها حتى سنة 871هـ/1496م، للمزيد: ينظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص7.
- (162) أعلام الوري، ص84.
- (163) المصدر نفسه، ص84.
- (164) وظيفة اختصاصها قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة اجوبتها، واخذ خط السلطان عليها وتفسيرها والجلوس بدار العدل لقراءة القصص (الطباق)، الاستدعاءات والتوقيع عليها ومشاركة الوزير في بعض الأمور مع التحدث في امور البريد، للمزيد: ينظر: محمد أحمد دهمان، الألفاظ المملوكية، ص127.
- (165) الذي يتولى في امر الجيوش وضبطها، للمزيد: ينظر: المصدر نفسه، ص150.
- (166) صاحب الدواة، وهي وظيفة عند المماليك كانت لكتاب بسيط، ثم صارت للاقتصاص بالرسائل، للمزيد: ينظر: المصدر نفسه، ص79.
- (167) ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص410.
- (168) تقي الدين أبو العباس أحمد (ت 728هـ/1327م): مجموعة الفتاوي، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، المملكة العربية السعودية، 1995، ج2، ص77.
- (169) ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص543.
- (170) تقع في الثغور بين الشام وبلاد الروم. للمزيد: ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص107.
- (171) مدينة مشهورة من بلاد الروم، ضمت للمسلمين، وحكامها كانوا من السلاجقة، للمزيد: ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص75.
- (172) ثاني اهم مدن سلاجقة الروم في اسيا الصغرى، للمزيد: ينظر: كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة يشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص174.
- (173) ابن حجر: انباء الغمر، ج4، ص104.
- (174) مجموعة من الفقراء المعدمين الموجودين في المدن الكبرى كالقاهرة، ودمشق وحلب والقدس ومكة المكرمة وحمص وحمص وحماة، وكانوا يسكنون في المنازل والمساجد والشوارع، يعتاشون من صدقات السلاطين والأمراء والأغنياء، ويطلق على الفرد منهم الازعر أو الشاطر أو العائق، وفي مصر يعرفون بالحرافيش، وفي العراق يعرفون بالعيارين، وصفهم ابن بطوطة بأنهم طائفة كبيرة من اهل الصلابة والجاه، للمزيد: ينظر: ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد (ت 779هـ/1377م): رحلة ابن بطوطة (تحفة الانظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ج1، ص214؛ ايرا لادوس: مدن اسلامية في عهد المماليك، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987م، ص294-295.

- (175) أبو النصر سيف الدين قايتباي الأشرفي الظاهري ، تولى السلطنة سنة 872هـ/1467م، توفي في القاهرة سنة 901هـ/1495م، للمزيد: ينظر: ابن اياس: بدائع الزهور، ج3، ص 2-3.
- (176) ابن طولون: مفاهكة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص97.
- (177) ابن طولون: نفسه ، ص 97.
- (178) نفسه، ص69.
- (179) نفسه، ص66.
- (180) ابن الأشرف قتيباي، تولى السلطنة بعد خلع والده نفسه سنة 901هـ/1496م ونازعه خاله، وتولى السلطنة على مدتين حتى قُتل سنة 904هـ/1498م، للمزيد: ينظر: الحنفي: نزهة الأساطين، ص147-149.
- (181) أبو سعيد المحمدي، تولى السلطنة بعد مقتل ابن اخته الناصر محمد في ربيع الأول سنة 904هـ/1498م حتى ذي القعدة سنة 905هـ/1499م، للمزيد: ينظر: المصدر نفسه، ص150-151.
- (182) بدائع الزهور، ج3، ص387.
- (183) الأحمر، تولى نيابة دمشق سنة 903هـ/1497م، توفي سنة 903هـ/1498م، للمزيد: ينظر: ابن طولون: أعلام الوري، ص105-114؛ الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت 1061هـ/1650م): الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص301.
- (184) بدائع الزهور، ج3، ص406.
- (185) المصدر نفسه، ج3، ص369.
- (186) المقرئزي: السلوك، ج3، ص215؛ رضا عمر كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت)، ص251.
- (187) ابن الملك المنصور بن الناصر بن المنصوري ، تولى السلطنة بعد وفاة أبيه بعهد منه سنة 741هـ/1340م، ووقعت له عدة أمور ادت إلى خلعه وتولية اخيه الأشرف كجك ، فنفي إلى قوص ، ثم قتل بأمر من الأمير قوصون سرا سنة 742هـ/1341م، للمزيد: ينظر: ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج 1 ، ص 271-272؛ ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج 2 ، ص 823.
- (188) الناصري، كان شابا ظريفا ، جلب من بلاد القان ازبك، فاشتراه الناس بستة آلاف درهم ، ثم اصبح من مماليك الأمير قوصون ، فتقرب إلى السلطان الناصر محمد الذي افرط في العطاء له، قتل في سجن الإسكندرية سنة 742هـ/1341م، للمزيد: ينظر: ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج 1، ص281-282.
- (189) المقرئزي: السلوك، ج3، ص330.
- (190) علي السيد محمود: الجواني في مجتمع القاهرة المملوكية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1988م، ص64.
- (191) الياضي: مرأة الجنان، ج4، ص105؛ الدوداري: كنز الدرر، ج8، ص30-31.
- (192) المقرئزي: السلوك، ج1، ص478-479؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص10-11؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص291-292؛ بيبس الدوداري: التحفة المملوكية، ص34-35.
- (193) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج2، ص503.
- (194) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص185؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج7، ص441.
- (195) النويري: نهاية الارب، ج29، ص294؛ الدوداري: التحفة المملوكية، ص39.
- (196) المقرئزي: السلوك، ج1، ص493.
- (197) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص377-378.
- (198) النويري: نهاية الارب، ج29، ص293.

- (199) بنت الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب (7) ، توفيت في مصر سنة 209هـ/824م، للمزيد: ينظر: السخاوي: تحفة الأحاباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والباق المبركات ، تحقيق محمود ربيع و حسن قاسم، مطبعة العلوم والآداب، القاهرة ، 1937م ، ص104؛ السيوطي: حسن المحاضرة ، ج1 ، ص511.
- (200) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص374.
- (201) الأسعد هبة الله ، كان نصرانياً ثم اسلم، وكان في بادئ امره ملازماً لخدمة الملك الفائز إبراهيم بن الملك العادل الأيوبي، وقد استوزره عز الدين أيبك، ونال حظوة عنده، وبعد مقتل الأول أهين وقتل سنة 655هـ/1257م، للمزيد: ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص199.
- (202) المقرئزي: السلوك، ج1، ص495.
- (203) المقرئزي: الخطط، ج3، ص164.
- (204) النويري: نهاية الارب، ج29، ص294.
- (205) المصدر نفسه، ج29، ص294.
- (206) المصدر نفسه، ج29، ص299.
- (207) العيني: عقد الجمان، ج1، ص354؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج2، ص209.
- (208) أبو الفداء: المختصر في اخبار البشر، ج3، ص216؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج2، ص209.
- (209) ناصرالدين محمد بن عبدالرحيم (ت807هـ/1404م): تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق، مطبعة الأمير، بيروت، 1942م، ج7، ص94؛ الدوداري: التحفة المملوكية، ص87؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج2، ص71.
- (210) النويري: نهاية الارب، ج30، ص237.
- (211) النهج السديد، ص289-290.
- (212) تولى السلطنة مرتين، الأولى (748-752هـ/1347-1351م)، والثانية (700-762هـ/1354-1360م)، توفي سنة 762هـ/1341م، للمزيد: ينظر: الصفدي: أعيان العصر واعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد واخرون، دار الفكر، دمشق، 1998م، ج2، ص247.
- (213) أمره السلطان الناصر حسن وقدمه على الف، واصبح امير مجلس، وكان يلبغا على رأس من قام على استاذة الناصر حسن حتى قتل، تولى عدة وظائف في عهد سلاطين المماليك، قتل على يد مماليكه في عهد الأشرف شعبان سنة 768هـ/1367م، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج4، ص270.
- (214) المقرئزي: السلوك، ج4، ص416.
- (215) من ممالك الناصر، تنقل في عدة مناطق واستقر في تنقل ورأس نوبة الجمدارية، تزوج أم السلطان الصالح إسماعيل، وصار مدبر امر مملكته، قتل في عهد السلطان المظفر حاجي سنة 748هـ/1347م، للمزيد: ينظر: المقرئزي: السلوك، ج1، ص420.
- (216) تقدم في ايام الناصر، وتزوج ابنته، وحظي عنده، فلما اتصل بالملك المنصور أبي بكر اختص به ، وبعد ذلك قبض عليه قوصون، وسجنه بالإسكندرية، توفي سنة 748هـ/1347م، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج6، ص121.
- (217) السلوك، ج4، ص32.
- (218) ابن اياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص180.
- (219) المقرئزي: السلوك، ج5، ص13.
- (220) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص70.
- (221) السخاوي: الضوء اللامع، ج12، ص70؛ الصيرفي: نزهة النفوس والابدان، ج2، ص69؛ المقرئزي: السلوك، ج4، ص335.

- (222) علاء الدين بن محمد بن قلاوون، تولى السلطنة سنة 742هـ/1341م وعمره خمس سنوات، ودبر امر السلطنة الأمير قوصون، وخلع في نفس السنة، توفي سنة 746هـ/1345م، للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج2، ص555.
- (223) المقرئزي: السلوك، ج3، ص381؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص81.
- (224) ابن اياس: بدائع الزهور، ج2، ص160.
- (225) من أمراء المماليك، حضر مع الجماعة التي احضرت ابنة اخي القان ازبك، وحظي بمكانة كبيرة عند السلطان الناصر محمد بن قلاوون، قتل في سجن الإسكندرية سنة 742هـ/1341م، للمزيد: ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج3، ص257.
- (226) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج2، ص321؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج3، ص24؛ المقرئزي: الخطط، ج2، ص239.
- (227) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج3، ص25؛ المقرئزي: السلوك، ج3، ص337.
- (228) تولى وظيفة أمير الطبلخانة في أيام الناصر محمد بن قلاوون، ولما توفي الأخير صار من جملة ممالك الأمير قوصون الذي سيطر على مقاليد الدولة أيام أبو بكر محمد بن قلاوون، وتولى قتل السلطان أبو بكر بمشورة قوصون، وتم القبض عليه وارسل إلى الإسكندرية، وقتل سنة 742هـ/1341م، للمزيد: ينظر: المقرئزي: السلوك، ج3، ص238-284.
- (229) المقرئزي: السلوك، ج3، ص346-349.
- (230) ابن اياس: بدائع الزهور، ج5، ص428.
- (231) أبو الفداء: المختصر في اخبار البشر، ج2، ص126، ص428؛ المقرئزي: السلوك، ج3، ص359.
- (232) احد أمراء دولة المماليك الجراكسة، كان والياً على القاهرة، قتل على يد السلطان فرج بن برقوق سنة 814هـ/1311م، للمزيد: ينظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص214.
- (233) المقرئزي: السلوك، ج6، ص304؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج13، ص131.
- (234) المصدر نفسه، ج13، ص130-131.
- (235) المصدر نفسه، ج14، ص107؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج4، ص827.
- (236) ابن اياس: بدائع الزهور، ج2، ص71.